جدار الكافية

وقصص أخرى

يمني محي الدين محمد

اسم الناشر :مؤسسة الأهرام - وكالة التوزيع
اسم المؤلفة :يمني محيي الدين محمد
تصنيف الكتاب :مجموعة قصصية
التدقيق اللغوي :بدر علام
الطبعة الثانية :يناير ٢٠٢٤
رقم الإيداع: ٤٤٨٢ - ٢٠٢٤م
تاريخ الحصول على رقم الإيداع : (٢١-١-٢٠٢٤)
الترقيم الدولي الموحد للكتاب : (978-977-13-0614-6)

جميع الحقوق محفوظة لدار مؤسسة الأهرام - وكالة التوزيع.
يُحظر نسخ هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي وسيلة من وسائل الطباعة، أو التصوير، أو النقل، أو الترجمة، أو التسجيل المرئي أو المسموع أو الحاسوبي، أو غيرها.
تم تسجيل هذا العمل لحماية حقوق الملكية الفكرية وفقًا للقوانين المعمول بها.

حقوق النشر محفوظة، ولا يُسمح بإعادة النشر دون إذن مسبق.

الجنون والمطاردة

أعتقد بأننا جميعاً نُعاني من الجنون نوعاً ما ، كُل ما في الأمر أن أولئك الذين يعيشون حياتهم خارج المصحات العقلية استطاعوا أن يخفوا جنونهم بشكل أفضل.

- ستيفن كينغ

أحيانًا، يكون من الصعب أن تحاول السعي في داخلك؛ فلا طريق سهل للمحاولة وإن وُجد، ففي مدينة بائسة وُلدت من وهم الأحلام، يغدو الواقع بلا أهمية أن تكون فاشلاً، يعني أن لا أحد سيدعمك إلى الأبد، فأنت وحدك المسؤول عن حياتك. وإن أصبحت ناجحًا، فسيحيط بك الكثير من الناس. تذكّر دومًا أنك إن تجاوزت العقبات والصعوبات، فستفخر بنفسك يومًا ما. والأهم من ذلك، أن تؤمن بنفسك وبذلك الحلم الساكن في داخلك، الذي تعيش من أجله، لا أن تحيا بلا هدف ولا يوجد طريق ممهَّد، لكن يمكنك الوصول إلى ما تريد من خلال محاولات عديدة، بالعزيمة والإرادة.

كريستين كانت تشعر بالضيق والملل المعتادَين، بسبب صعوبة العثور على عمل ولم تكن من النوع الذي يستسلم بسهولة، لكنها فقدت الشغف خلال أيام جائحة كورونا، وشعرت أحيانًا بالاستسلام،كانت تتوق لأن تشعر بأنها شخص مهم، وتحلم بأن تصبح سيدة أعمال ثرية.

الخوف كان يراودها كلما فكرت في المستقبل المجهول وكعادتها، ذهبت إلى الكنيسة يوم الأحد للصلاة وهي شابة في العشرينات من عمرها، جميلة، ذكية، قوية، وطموحة وتؤمن بأنها الأجمل وجهًا على الأرض، وتتمتّع بثقة عالية بالنفس، تبتسم دومًا، وتتحمس بلا حدود. تحلم بتحقيق أهدافها، لكنها تخشى أن يضيع عمرها هباءً ونشأت في عائلة محافظة ومتشددة، وتخرّجت مؤخرًا من كلية إدارة الأعمال واليوم، تحلم بأن تصبح سيدة أعمال ناجحة في المستقبل القريب.

وكان والدها جنديًا في الجيش وقد تقاعد، ووالدتها ربة منزل طيبة القلب ولم تتعامل مع أحد بسوء الظن يومًا حفاظًا على محبة الناس، وخصوصًا زوجها الذي يراها جميلة مثل ابنته ، كانت كريستين مستلقية على السرير عندما وجدت منشورًا على هذا الموقع عبر رابط فيسبوك، نُشرت فيه إعلانات توظيف في شركات تناسب مؤهلاتها العلمية وفي خلال الفترة الصعبة، حاولت أن تستغل وقت فراغها للاستفادة من تجاربها في الحياة القاسية بعد جائحة كورونا. وفي غضون أيام قليلة، وافق والدها على رغبتها في العمل بشركات تصنيع السيارات وكانت متوترة حينما ذهبت برفقة والدتها في أول يوم تدريب بالشركة لتتعلم بعض التقنيات في الحي السابع بمدينة نصر في شركة مشهورة وذات يوم، عندما ركبت الحافلة لتعود إلى منزلها، ظلت تتخيل مستقبلها في الأيام والأسابيع والشهور القادمة، وشعرت بالقلق والتوتر ثم شعرت بالحزن والتعاسة لأول مرة، فهي لا تعرف هل ستستمر في هذا العمل الصعب أم ستتركه، بعدما أخبروها أن العمل شاق وليس سهلاً، وبلا راحة، مع مزيج من الضغوط لفترات طويلة.

وفي أول يوم لكريستين في الشركة، بعد مقابلة المسؤول وسؤاله عن حياتها وسيرتها المهنية وصحتها الجسدية للتأكد من قدرتها على تحمل هذه المسؤولية الصعبة للعمل في الشركة تحت الضغوط الكثيرة، وسؤاله عن مكان سكنها الخاص لتوفير الشركة خدمة توصيل العاملين والعاملات عن طريق حافلات تابعة للشركة في حال التحاقها بهذا العمل.

وكانت تشعر بالضيق وقد سئمت من الروتين اليومي بسبب طول المسافة بين منزلها ومقر الشركة، بالإضافة إلى حلمها بمنصب كبير وعدم ثقتها في تحقيق حلمها. وشعرت بالضيق بعدما استمرت في الذهاب إلى المصنع لمدة خمسة أيام مع والدتها، التي عانت من التعب والألم ولم تُرد أن تتركها بمفردها رغم بلوغها العشرين، فهي ما زالت تقلق على ابنتها.

كانت كريستين تكره حياتها المليئة بالألم والتعاسة والقسوة، ودخلت إلى قاعة التدريب بجانب المتدربات الجدد، وكان المكان ضيقًا.وجاء شخص يبدو مظهره قديمًا، يرتدي نظارة طبية، وجلس على الكرسي المجاور لكريستين، وبدأ يوجه أسئلة مستفزة ومتكررة عدة مرات للمدرب الذي كان يشرح استراتيجيات التدريب ومواصفات العمل وساعات الراحة. وبعد أن غادر المدرب وترك المتدربين يتحدثون ويتصرفون براحتهم، نهض ذلك الشخص القديم المظهر فجأة، وكان لا يتوقف عن الحركة والدوران في المكان، يتصرف بطريقة غريبة ومزعجة، مما جعل الشباب العاملين ينزعجون من وجوده وتصرفاته الغريبة في أوقات الانتظار. وكانت كريستين منزعجة وضاقت بتصرفات هذا الشخص غريب الأطوار، الذي يبدو كالمجنون بتصرفاته غير الطبيعية. وبعد ثلاثة أيام من التدريب، جاء الشخص نفسه وحاول أن يجلس بجانبها، فشحب وجهها من الخوف وأشاحت بنظرها عنه، وشعرت بالقلق، لكنها تظاهرت بالثبات والقوة رغم خوفها منه بسبب غرابة مظهره. ووضعت حقيبتها على الكرسي المجاور لكي لا يجلس بجانبها، وكانت منزعجة منه ولا تطيق وجوده أصلاً لأنه متطفل في أسئلته المستمرة والمستفزة عنها وحينما جلس أمامها، احمرّ وجهها من الغضب وبدت متضايقة من جلوسه أمامها، ثم سألها عن رقمها ليتواصل معها عبر الواتساب، لكنها رفضت وازداد انزعاجها حينما اشتبهت بأنه يتجسس على الأوراق الموجودة في مكتب المدرب أمامهم دون أن ينتبه أحد لتصرفاته.

لم يتقبل الشاب اعتراضها، وكان جالسًا أمامها ينظر نحوها ولديه فضول كبير، وهو غريب الأطوار مثل الجاسوس. انتهت أيام التدريب، وكانت والدة كريستين تنتظرها في السيارة أمام مبنى التدريب لتعود بها إلى المنزل. وفي لحظة مفاجئة، جاء هذا الشاب وواجه والدتها أمام نافذة السيارة وسألها عن رقمها، فأعطته والدتها الرقم دون أن تفكر ودون أن تعرف كريستين أساسًا. وجدت كريستين الشاب يتكلم بعد أن ركبت السيارة، وفي طريق العودة إلى المنزل، سألت الأم ابنتها بعد أن نظرت إليها وكانت غاضبة من والدتها، فقالت لها:

- لماذا تفعلين ذلك؟ أليس كذلك؟ ألم يقل لك شيئًا؟ ولماذا يريدك أن تكلميه يا أمي؟

قالت والدتها بعد أن بدت منشغلة بالقيادة ونظرت نحو الطريق :

- لكنه يريد أن يأخذ رقمي للتواصل من أجل مساعدتك بخصوص أخبار الشركة، وقد وافقت أساسًا بعد أن أعطيته رقمي.

وغضبت كريستين من هذا التصرف من والدتها، فأجابت بغضب بعد أن قالت لها:

- لماذا تفعلين ذلك؟ وكيف تسمحين له بأن يأخذ رقمك دون أن تعرفيه؟ إنه غريب ومجنون!

وجدت ابنتها محقة في موضوع الرقم، فكانت والدتها مترددة ولم تعرف كيف تجيب عن هذا السؤال، لأن كريستين سألتها:

- ما هو اسمه يا أمي؟

قالت والدتها بعد أن عرفت اسم الشاب الذي تكلم معها قبل لحظات:

- اسمه أندرو مونرو

عرفت اسم الشاب الذي لم يتوقف عن إصراره معها، وقد كان اسم شاب أصيب بجلطة في دماغه بعد ولادته تسببت في إعاقة ذهنية وعقلية. وهو شاب عادي وتقليدي في الثلاثين من عمره، وما زال يحب التطفل على جميع الفتيات، فقد خدع عدة فتيات مسيحيات، وهو ليس طيب القلب، بل شيطان في هيئة إنسان، مما جعل الجميع يكرهونه ويبتعدون عنه بسبب قبح وجهه ونشأ في حي شعبي بشبرا في عائلة مسيحية، ولا يتوقف عن غروره وتكبره أمام الناس، وكان يحب التجسس على من حوله، ولا يقبل اعتراضًا أو رفضًا، بل يصبح مخيفًا حين يتجاهله الجميع. سمعته سيئة، ويسخر منه الأشخاص حين يتطفل على الناس، وكان عاطلاً فاشلاً، ولا أحد يدعمه أو يشجعه، عبء ثقيل على من حوله، وليس إنسانًا سويًا، بل مريض عقليًا ونفسيًا وما زال يخفي الأسرار ويتظاهر بأنه ماهر بطريقة مخيفة وكأنه يعرف كل شيء، فلا يبدو جاهلاً، ولكنه ضعيف للغاية ويكره جميع من حوله، مما جعل الجميع لا يتعاملون معه ويتجاهلونه. وذات يوم، وجد ملفات كريستين على مكتب المدرب داخل قاعة التدريب، فتجسس على ملفاتها ليأخذ رقم هاتفها، وكان سعيدًا لأنه حصل على رقمها بهذه البساطة دون أن ينتبه أحد.

وفي اليوم التالي، تم الاتفاق بين مستشفى الصحراوي وشركة ليوني على نقل العاملين والعاملات تحت التدريب بعد استكمال الأوراق المطلوبة المتعلقة بالحالة الصحية الجسدية والعقلية كشرط أساسي للعمل. ويجب على المتدربين والمتدربات إجراء فحص الأشعة قبل التوجه وركوب الحافلات نفسها بعد أن يتجمع الشباب والفتيات داخل الحافلة. لكن والدة كريستين رفضت وقالت إنها ستأخذ ابنتها وتتبع الحافلة إلى طريق المستشفى. فجأة، فقدت أثر الحافلة في لمح البصر بسبب ازدحام الطريق، فاتصلت بزميلة كريستين، بسمة، لتسألها عن عنوان المستشفى بعد أن أوقفت سيارتها جانبًا بجوار المرآب لكنها تركت ابنتها تتصرف داخل العيادة تحت مراقبة زميلتها. وبعد انتهاء فحص الأشعة، خرج المتدربون والمتدربات إلى القاعات الخارجية، وفي تلك اللحظة ظهر أندرو مونرو وأخبر كريستين -بعد أن وجدها خارجة- أنه اتصل بوالدتها للاطمئنان على ابنتها. فجأة، غضبت كريستين وصرخت في وجهه بعد أن فضحته أمام الجميع قائلة:

- لا تتدخل في حياتي أبدًا، وما شأنك؟ ليس لك علاقة بي أبدًا، أيها المجنون!

وفي تلك اللحظة، تدخلت زميلتها بسمة وحاولت تهدئة كريستين في هذا الموقف الغريب تجاه أندرو، الذي بدا صامتًا ولم يفهم سبب غضب كريستين، ولم يفعل شيئًا، مما جعل كريستين تفقد صوابها بسبب هذا التصرف الغريب الذي ظل يطاردها في حياتها طوال الوقت. وبعد أن خرجت كريستين من المستشفى، انتظرت في الموقف لتصعد حافلة تتجه إلى طريق منزلها. وبعد أن ركبت، جلست على المقعد وكانت غاضبة من هذا الموقف السخيف الذي أفقدها رباطة جأشها. فتحت هاتفها فوجدت رسالة غير مقروءة عبر تطبيق واتساب، ثم تلقت اتصالاً من رقم غير معروف، لكنها اندهشت عندما اكتشفت أن هذا الرقم يعود إلى الشاب أندرو الذي تحدثت معه قبل قليل، وهي ما زالت في طريقها إلى المنزل.فسألت نفسها: كيف عرف أندرو رقمها الخاص دون أن تعطيه إياه؟ وظلت شاردة الذهن، وشعرت بالقلق والخوف والرعب بسبب أندرو، ولم تفهم سبب إصراره على الاتصال بها.

بعد عودتها إلى البيت، تحدثت كريستين مع والدتها فورًا بعد أن روت لها ما حدث معها اليوم. قالت كريستين:

- أخذ أندرو رقمي منك عندما كنتِ جالسة داخل السيارة في ذلك اليوم، يا أمي؟

أجابت والدتها:

- لا، أنا لم أعطه رقمك، لأنني أعطيته رقمي وليس رقمك على الإطلاق، صدقيني

قالت كريستين:

- أندرو ما زال يلاحقني ويطاردني طوال الأسابيع الماضية وحتى الآن، لكنني لم أفهم لماذا يريدني؟ إنه ليس طبيعيًا على الإطلاق.

لم تجب والدتها، وهي لا تجيد فن الرد، إذ كانت تبدو مترددة، ومعتادة على عدم المساعدة في حل المواقف أو مناقشتها، فقالت لها:

- هذا أمر طبيعي، لا يوجد شيء غريب، إنه يريد فقط أن يساعدك في هذا العمل وحسب.

ردت كريستين:

- هذا ليس طبيعيًا، الموضوع غريب ومخيف، لكنني ما زلت أريد حماية نفسي من هذا الشخص المجنون.

أجابت والدتها، بعد أن شعرت بالخوف عليها، أنها ترفض التدخل حفاظًا على سلامة أندرو وابنتها. فغضبت كريستين لأنها لم تجد حلاً لهذه المشكلة المخيفة بعد دخول أندرو في حياتها، مما جعلها تشعر بالخوف والقلق، فهي لا تجيد التعامل مع الأشخاص المجانين فقد التقت سابقًا بأشخاص سيئين وابتعدت عنهم فورًا، وهي الآن سئمت من التعامل مع الناس في هذا العالم وفي اليوم التالي، وهو آخر يوم في التدريب، سألت كريستين العاملين والعاملات - بعد أن شكت لهم من أمر أندرو- إن كان أحدهم قد أعطى أندرو رقمها دون علمها لكنها لم تجد أحدًا قد أعطاه الرقم على الإطلاق، وبعد أن تأكدت منهم، قررت أن تسأل أندرو مباشرة عبر المراسلة، فأرسلت له رسالة عبر تطبيق واتساب.

قالت كريستين في رسالتها:

- كيف عرفت رقمي الخاص؟ من فضلك، يجب أن تخبرني، من فضلك يا أندرو.

أجاب أندرو:

- أنتِ أعطيتني رقمك الخاص بنفسك في ذلك اليوم.

ردت كريستين:

- لا، أنا لم أعطك رقمي الخاص على الإطلاق، لكنك أخذته من أحدهم، أليس كذلك؟

لم يرد أندرو وتجاهل رسالتها وكأنه يعبث بها. وظل يطارد كريستين بعد انتهاء التدريب، وكان يتصل بوالدتها ليهنئها في الأعياد. كادت كريستين أن تفقد صوابها، وأخذت تفكر كثيراً في هذا الأمر، فعادت بذاكرتها إلى الوراء لتربط الأحداث. تذكرت أن أندرو كان واقفًا في ذلك اليوم عندما كان يبحث عن شيء، فوجد رقم كريستين مكتوبًا على ورقة فوق المكتب أمام العاملين والعاملات دون أن ينتبه أحد لما كان يفعله وقتها. كانت كريستين جالسة في مكان التدريب مع العاملين والعاملات عندما رأت أندرو يتجسس على ملفاتها، لكنه كان ينكر دائمًا أنه أخذ رقمها عن طريق التجسس على تلك الملفات وكادت أن تقع في فخه لولا كذبه الواضح، إذ كانت تعلم أن أندرو أخذ رقمها دون علم أحد منذ أن شاهدته يتجسس على ملفاتها ولم يتوقف عن ملاحقتها لأسابيع طويلة وحاولت تحذيره مرات عديدة، لكنها فشلت في كل مرة بسبب عناد أندرو الذي تجاهلها ولم ينفذ كلامها على الإطلاق ولا أحد يعرف سبب إصرار أندرو على ملاحقة كريستين. وبعد أن تأكدت من كذبه، حاولت أن تجعله يحذف رقم والدتها بسبب سؤاله عنها في كل مرة. فوافق أندرو بالفعل، ولكن بشرط أن يحتفظ برقم ابنتها. فغضبت كريستين، لأنها عانت من قبل من وجود أشخاص مجانين وسيئين، ولم ترَ يومًا أشخاصًا طبيعيين في حياتها المصرية لكن أندرو لم يكن شخصًا عاديًا، بل كان ضعيفًا ذا عقل ضئيل وحينما تم الترتيب بين العاملين والعاملات لنقلهم إلى منازلهم كل يوم حسب أماكن سكنهم في طرقات مختلفة ومسافات سواء قريبة أو بعيدة...

كان أندرو يسكن في مكان بعيد، على عكس مكان كريستين، ولكنه أراد أن يركب مع كريستين في نفس الباص. كان ينظر نحو كريستين التي كانت تقف وهي خائفة، ظنًا منها أنه كان يشير نحوها أمام السائقين الذين تجمعوا حوله، فأجبروه على ركوب باص مخصص له دون مرافقة كريستين. شعرت كريستين بالراحة لأنها ركبت في باص آخر وسط العاملين والعاملات، فهي لم تبدأ بعد في العمل في مصنع الورشة. كانت ستحتاج إلى إجازة بسبب انشغالها بأمور أخرى، بعد اتفاق بين والدتها وبين المسؤول للسماح لها بالحصول على الإجازة. بدأ أندرو بالعمل في مصنع الورشة، ولم تعد كريستين موجودة منذ حصولها على الإجازة. مرت شهور قليلة دون أن يرسل أندرو رسالة إلى كريستين منذ بدأ العمل في هذه الشركة. فتحت كريستين رسائلها عبر المراسلة، وهي التي لم تفتحها منذ وقت طويل بسبب سفرها إلى القرية الصغيرة. لم ينسَ أندرو كريستين، فكان يرسل لها رسائل التهنئة. قررت كريستين أن تحصل على صورته الشخصية، لعلها تشتكي منه إلى الشرطة، وحاولت أن تقنعه بالالتحاق بدورة للكمبيوتر عن طريق خداعه. أرسل أندرو صورته الشخصية بالفعل دون أن يفهم نيتها الشريرة، فقد جعل كريستين، التي كانت هادئة، تتحول إلى فتاة سيئة سئمت التحمل من الغضب. لم يكن ذنبها أبدًا أنها قررت أن تجعل أندرو يخرج من حياتها بشكل نهائي طوال حياتها. عانت كريستين من فترة عصبية وصعبة بسببه، وأصبحت حياتها بائسة بسبب دخوله فيها. أرسلت له رسائل الشتائم طوال الساعات عبر المراسلة دون أن يفهم رسائلها، بشكل متكرر بلا توقف لمدة يومين. أخبر أندرو عائلته بسبب رغبتها في مساعدته للالتحاق بدورة الكمبيوتر. وفي داخل المنزل في مناطق الجيزة، رأى أحد أفراد عائلته البائسة الرسائل بينه وبين كريستين، تلك الرسائل المليئة بالشتائم. فقام أندرو بحظرها لأول مرة، ولم يعد موجودًا في حياتها. بدأت كريستين تشعر بالتخلص من عبء ثقيل على كاهلها. تحسنت كريستين رويدًا رويدًا بعد خروج هذا الشخص المجنون من حياتها. شعرت كريستين بالسعادة والسرور حين عملت في تخصص إدارة الأعمال، وأصبحت ناجحة في عملها، وترقّت لمنصب المدير التنفيذي. لم تندم على الإطلاق على ما فعلته به. وخلال أيام قليلة، كان أندرو... يفعل كل شيء، وأصبح مجنونًا، ويصرخ بشكل مخيف كل يوم بعدما تخلى عنها، وانشغل عن عمله، حتى أجبرته عائلته على زيارة المعالج العقلي والنفسي و انتقل من المنزل إلى المصحة النفسية والعقلية لمدة أسابيع وشهور، بعدما تعاطى المخدرات وتناول أدوية الاكتئاب، حتى توفي في أحد المستشفيات العقلية.

المريضة النفسية

إن الاكتئاب هو أبغضُ تجرُبة مررتُ بها على الإطلاق، إنه انعدام تصور الشعور بالسعادة مرة أخرى، وأيضا غياب الأمل كُليا، إنه الشعور بالموت، إنه مُختلف تمامًا عن الشعور بالحُزن.

- دوستويفسكي

لا يجب أن تتعمقي في أوهامك أبدًا بأنك تجدين نفسك في الواقع الحقيقي، حيث إن الكون الواسع يقبع خارج عالمك الواقعي، وحينئذٍ تكتشفين أشياء رائعة وتفعلين ما تمنيتِ فعله يومًا. ليلى، ذات الثمانية عشر عامًا، ظلت تشاهد التلفاز منذ نعومة أظفارها. تلك الفتاة البريئة الجميلة الشقية، ذات العينين الزرقاوين والشعر الطويل، بعد أن ارتدت الألوان الزاهية في مرحلة الطفولة والصبا، أصبحت وحيدة وسط عائلتها طوال مرحلة طفولتها. جاءت والدتها غير الحقيقية، بعد أن انتهت من أعمالها المنزلية، فوجدت ليلى جالسة على الأرض أمام التلفاز، تضحك وتركز على أفلام الشخصيات الكرتونية والأفلام الهندية والأجنبية والتركية والمسلسلات المترجمة. فصاحت بغضب بعد أن نظرت نحوها:

- لا يجب أن تتعمقي في أوهامك أبدًا، لأنك تجدين نفسك في الواقع الحقيقي، حيث إن الكون الواسع يقبع خارج عالمك الواقعي، وحينئذٍ تكتشفين أشياء رائعة وتفعلين ما تمنيتِ فعله يومًا. يكفي يا حبيبتي أنك تجلسين منذ الصباح الباكر، اذهبي إلى غرفتك لتنامي، لأنك ستبدئين الذهاب إلى المدرسة غدًا في الثامنة صباحًا.

تضايقت ليلى لأنها تكره الدراسة، فقد التحقت بمدرسة داخلية بالإكراه بسبب والديها، وفي أيام كثيرة كانت تنام هناك في مدرستها الداخلية خلال تلك الفترة القصيرة من نهاية الأسبوع. لذلك، لم تعد تحب أبدًا الذهاب إلى المدرسة بسبب أيامها المملة. وفي صباح اليوم التالي، كانت والدتها تقف أمامها داخل الغرفة، فقالت ليلى، التي بدت ملامحها عابسة وهي ممسكة بيديها على السيرفر:

- لا أحب المدرسة، شعرت بالملل، ولكنني لم أفعل شيئًا سوى الهدوء والصمت طوال اليوم بمفردي.

تربَّتْ على تربية التلفاز بعد أن نشأت في دار للأيتام، لأنها كانت طفلة منعزلة ووحيدة، ولم تمتلك أصدقاء يومًا، فأصبحت عنيدة ومنطوية. لكنها تعلمت أمورًا من الأفلام والمسلسلات حتى زاد حبها للتمثيل. لم تعرف والدتها كيف تساعدها لحماية نفسها من أضرار التلفاز، وتركت ابنتها وحيدة دائمًا أمام التلفاز. تعرفت ليلى على شخصيات متميزة خلال مشاهدة الأفلام الكرتونية، إلى أن كبرت بعد مرور السنين. لأول مرة، أدركت أنها لا تمتلك أصدقاء، وليس لديها سوى الوحدة والألعاب الترفيهية، إلى أن وصلت إلى المرحلة الإعدادية، وهي تشاهد الأفلام الهندية والمسلسلات التركية المترجمة بعد عودتها من المدرسة بشكل متكرر. مع مرور الوقت، تعلمت من أفلام الكرتون، وتعلقت بإحدى الشخصيات المشهورة في طفولتها، مثل عالم سمسم، على قلبها النقي، ولم تتوقف عن مشاهدة التلفاز الذي أفسد عقلها بمرور الوقت. اختلطت أحلامها في المنام بالمشاهد الحقيقية في حياتها بأحد الأفلام في ذكرياتها القديمة، باختلاف التفاصيل، فلم تستطع أن تميز بين الأحداث الحقيقية والأحداث الخيالية في عقلها على الإطلاق. ابتعدت عن عائلتها لأنها هربت من الواقع القاسي إلى عالم خيالي، مثل مشاهدة سبيستون. وفي مرحلة المراهقة، حاولت ليلى أن تبتعد عن التلفاز لأنها أصيبت بضعف النظر، وكانت تريد أن ترتدي نظارة ذات شكل جميل، فتعمدت أن تقترب من الشاشة الكبيرة خطوة بخطوة، ومن ثم إلى الهاتف الذكي والتلفاز عبر برنامج يوتيوب، فهي ترغب في الأفلام الجديدة. لم تتوقف عن الإمساك بالهاتف فترة طويلة، وفشلت محاولاتها للابتعاد عن التلفاز الذي أفسد دماغها منذ طفولتها حتى المرحلة الحالية. لم تتخلَّ عن تلك العادة السيئة، وأصبحت حزينة وغاضبة من تعلقها بالأفلام والمسلسلات، وسئمت من الروتين اليومي، وحاولت أن تستغل وقتها.

فلا تجد ما تفعله لتستغل فراغها سوى الجلوس بجانب الشباك كل ليلة، مما يجعلها تشعر بالهدوء والصمت دون أحد من عائلتها البسيطة، فهي تعشق الوحدة والصمت، وأحيانًا تقطع علاقتها بالجميع وتصاب بالاكتئاب، فتعود لمشاهدة الأفلام على قناة سبيستون أيامًا وأسابيع وشهورًا. ظلت مهووسة بهذه الأفلام التركية والهندية والأجنبية واليابانية والكورية حتى وصلت إلى مرحلة الإدمان والهوس بالتلفاز. تَربَّتْ على كل قصص الشخصيات الكرتونية بأسلوب البراءة والطفولة، حيث عشقت وحفظت شخصيات الأفلام الكرتونية في مرحلة طفولتها، وكانت شاردة في خيالها الواسع. حينها دخلت أمها إلى غرفة الصالة، ونظرت نحوها غاضبة وقالت لها:

- يجب أن تبتعدي عن الجلوس أمام التلفاز، لقد تعبت من عنادك وغضبك طوال الوقت، أرجوكِ يجب أن تكفي عن الهوس بالتلفاز يا ابنتي .

فشعرت ليلى بالحزن لأن أمها لم تفهمها يومًا، فهي ليست صديقتها أبدًا، ولم تفهم أنها لا تملك سوى الجلوس وقضاء الكثير من وقت الفراغ، وصولاً إلى الاختناق والملل. فقالت لأمها بعد أن نظرت نحوها، وكانت الأم قد وضعت ذراعيها حول خصرها:

- أنا لا أملك شيئًا، ولا أعرف كيف أستغل وقت فراغي، لم أعد أتحمل البقاء في المنزل، لأنكِ ترفضين أن أخرج بمفردي، وليس لديَّ أصدقاء على الإطلاق.

بدت والدتها مترددة ومرتبكة، ثم تركتها وحيدة لتذهب إلى عملها. كانت الطفلة متعلقة بوالدتها غير الحقيقية، تخاف من العالم الخارجي. والدتها، التي تعمدت تركها بسبب انشغالها بعملها في التدريس، كانت حزينة ومنطوية، إذ حُرمت من الحب والحنان، فلم تجد أحدًا يفهمها. الجميع منعوها من الخروج إلى العالم الخارجي، فكانت ليلى تعيش داخل سجن كالعصفور الذي لا يتحرر من قفصه بسبب والدتها غير الحقيقية. أصيبت بمرض نفسي بعد أن سجنتها، ولم تتعلم الاعتماد على نفسها يومًا، فوجدت نفسها وحيدة بين منازل عائلات مختلفة دون باب خارجي لمدة شهور قليلة. في كل مرة، كانت تهرب من الواقع الصعب الذي لم تجد فيه من يهتم بها أو يحبها، وكانت تشبه الحبيسة التي تصرخ بأعلى صوتها من داخلها أحيانًا. لقد تركها الجميع بمفردها، فأصبحت وحيدة، تفتقد الاهتمام والحب، ولم تكن منسجمة أبدًا مع الآخرين في الخارج، حتى برفقة والدتها التي وجدتها رضيعة في دار الأيتام. كانت انطوائية بشدة، لدرجة أنها لم تستطع الذهاب إلى أي مكان بمفردها. وفي أيام قليلة، دخلت إلى القصر المهجور لرغبتها في الهروب من الواقع، ثم أغمضت عينيها لتغوص في نومها في أعماق حلمها.

استيقظت فوجدت نفسها في مكان مظلم، وقد تحولت من إنسانة عادية إلى شخصية مرسومة متحركة داخل شاشة كبيرة. لم تكن الشاشة كما تراها، فقد شاهدت أشخاصًا يجلسون في الصالة يبكون على اختفائها ويبحثون عنها في العالم الخارجي، فشعرت بالحزن في ذلك الموقف المضطرب. كانت لا تزال عالقة في أفلام مسجلة خلف شخصيات متحركة على قناة سبيس تون، وتبحث عن مخرج من تلفاز قديم داخل القصر المهجور بعد شعورها بالخوف في عالم غير حقيقي يأخذها إلى أماكن حول الكوكب دون إرادتها، وكأنها تقف أمام شاشة مشوقة. جلست وحاولت أن تسأل نفسها عدة مرات إن كانت بخير منذ تركت الواقع القاسي الذي تخلى عنها بعد دخولها إلى عالمها المجهول. كانت تبحث عن إجابة عن سبب دخولها إلى القصر المهجور، لكنها لم تجد الجواب. اكتشفت أنها تعمقت في مكان مهجور وقديم، وشاهدت تلك الشخصيات المتحركة تتحرك حولها، يتبادلون الحديث والضحكات في كواليس خلف الشاشات، حتى شعرت بالخوف.

بعد أن وجدت تلك الشخصيات حية، وليست وهمية أو خيالية، والتي ظهرت على قناة "سبيس تون" داخل المكان المهجور، اعتادت على الحديث مع الشخصيات المتحركة التي تتكلم بصوت عالٍ. كانت الطفلة، التي لم تعد تتحدث مع أحد، في وسط الصمت، وكانت تجهل الأشياء من حولها. في كل ليلة، كانت تهرب من مشكلة الوحدة، دون أن تعرف عائلتها الحقيقية التي لا تتوقف عن الشجار والجدال، إلى مكانها السري. كانت تبكي على ذكرياتها الصعبة، وجلست على أرض هذا المكان في ليلة باردة. نظرت نحو القمر الساطع الذي يظهر على شكل دائرة، وينعكس ضوء القمر على أرض المكان المظلم ذي الرائحة الدافئة والنسيم الناعم. شعرت بالدفء والحنان في وحدتها الشديدة، وأغمضت عينيها لتغوص في أعماق بحر أحلامها. في المستقبل، كانت واثقة بنفسها، وكأنها تلمس القمر بأصابعها. فجأة، شعرت بوجود أصوات في عقلها تتردد داخلها لمدة ساعات، وكان الألم في عقلها لا يُطاق حتى شعرت بالدوار. بما أنها لا تستطيع أن تتكلم بسبب السهر وقلة النوم، شعرت أن الوقت لا ينتظرها، لكنها لم تفعل شيئًا سوى الانتظار. تعلمت الصبر بفضل هذا المكان، وكانت تحاول أن تبحث عن ذاتها أحيانًا، عن سعادتها وضحكتها. كانت تجلس في هذا المكان السري الذي لم يعرفه سواها، فقد هربت من كل شيء، لكنها لم تنجُ من الحزن على حياتها وروحها. لم تجد سوى المضي قدمًا نحو الأمام والضياع، ثم تركض إلى طريق المجهول حيث المكان المهجور. كانت تحزن وتلعن نفسها لأنها جلدت ذاتها أحيانًا في كل ليلة. كادت أن تصل إلى المكان المظلم، وتعترف لنفسها بأنها اكتشفت كل شيء في لحظة الاستيقاظ من الوهم والوعي في تلك اللحظة الصعبة.

أدركت أن القدر يختبرها، إن كانت ستنجو أم لا بمفردها دون أن يساعدها أحد، لأنها المسؤولة عن حياتها. أصبحت تلك الشخصية الضعيفة والحزينة التي لا تملك المشاعر، بلا روح، بلا سعادة، بلا ألم، بلا شعور، بلا فرحة، بلا قوة، بلا أمل. لا أحد يهتم بها، ولا أحد يشعر بها، لأنها تائهة في أحلامها ورغباتها. ركضت في أحلامها بلا خروج من النفق، وتحاول أن تستيقظ من النوم، وما زالت تبحث عن هدف وجودها في هذا العالم، عن عقلها وقلبها في كل يوم. لكنها في صراع بينها وبين نفسها دائمًا، فلا تجد أحدًا يرشدها إلى الطريق الصحيح. حتى وجدت الباب المشع الكبير من الشاشة الكبيرة، فخرجت من القصر المهجور ووصلت إلى دار الأيتام. خرجت من عالمها الخيالي إلى الواقع، وحضنت والدتها غير الحقيقية بعد عودتها من الشاشة الكبيرة. لم تعد تندم على فوات الأوان في هذه الحياة البسيطة والجميلة بعد أن تخلت عن عالمها الخيالي في القصر المهجور. أصبحت تجتهد وتتعب في دروسها في المدرسة الداخلية حتى تخرجت في المرحلة الثانوية بمفردها. حينها، تخلت عن هوسها بالعادة القديمة التي بدأت داخلها في مرحلة الطفولة والمراهقة، إلى أن بلغت أربعًا وعشرين سنة.

مع مرور السنوات، ظهرت الفتاة الغامضة مجهولة الهوية التي غيّرت اسمها عدة مرات حتى لم يُعرف اسمها الحقيقي عندما وصلت إلى مرحلة الشباب، أصبحت مضطربة نفسيًا وظلت وحيدة بلا أصدقاء، مكتفية بنفسها، ولم تشعر بالراحة يومًا لأنها تظن أن لا أحد يحبها أو يقف إلى جانبها. لم تعد تحب الحياة كما كانت في السابق، ولم تعد تعرف من تكون، فساءت حالتها النفسية ولم تجد من يساعدها على التعافي.

فتحت حسابها الأساسي على موقع فيسبوك لأول مرة بعد انتشار التكنولوجيا إثر ثورة الخامس والعشرين من يناير في المجتمع المصري، الذي بدأ يظهر عبر الموقع. أضافت العديد من الأقارب والأصدقاء، وأنشأت مجموعة باسم مدرستها القديمة، وكتبت الكثير من المنشورات والصور. حاولت فتح صفحتها القديمة لكنها نسيت كلمة السر ولم تستطع فتحها مرة أخرى، فقامت بإنشاء صفحة جديدة باسم مستعار، دون أن تظهر اسمها الحقيقي. قررت في تلك الفترة الصعبة أن تعالج نفسها، وظلت تبحث عن أخصائية نفسية ترغب في مساعدتها لعلاج مرضها النفسي. ثم كتبت سؤالاً في منشوراتها عبر بوست كالتالي:

في حالة فتاة في الثامنة عشرة تعاني من اضطراب نفسي واكتئاب، فهي انطوائية تعيش في عزلة، قطعت صلتها بالجميع طوال حياتها منذ مرحلة طفولتها البائسة، وتحملت ما لا يمكن أن يتحمله إنسان. تعاني من الأرق، وقد فكرت في الانتحار منذ أن كانت في السادسة عشرة، فلربما تجد من يساعدها في العثور على أخصائية للعلاج النفسي.

قام أحد الأشخاص بإرسال رقم أخصائية نفسية لها على صفحتها المزيفة، فاتصلت الدكتورة جيهان أحمد، وهي طبيبة كانت تعمل في أحد المستشفيات الجامعية منذ خمس سنوات بمهنة الطب النفسي. وجيهان ذكية وعبقرية وقوية الشخصية، وحلمت أن تصبح طبيبة نفسية منذ صغرها، وكانت تتعمق في دراسة الطب النفسي منذ تخرجها في كلية الآداب بجامعة عين شمس، ثم حصلت على الماجستير والدكتوراه. فوافقت الطبيبة النفسية على علاجها في منزلها البعيد مجانًا بعدما أخبرتها الفتاة المجهولة عن حياتها الماضية ومشاكلها دون أن تعرف اسم الفتاة الحقيقي. وجاءت الدكتورة النفسية إلى منزل الفتاة المجهولة لعلها تساعدها في علاج صدمتها وحزنها، بحكم خبرتها في التأقلم مع هذه الحياة الصعبة وعندما كتبت أشياء عديدة عن الفتاة المجهولة، شرحت لها الفتاة ظروفها الصعبة وكل شيء في حياتها الماضية حتى الآن، بعدما عرفت أن اسم الفتاة هو ندى محمد، وهي نفس الفتاة التي نشرت المنشور في ذلك اليوم. واستمرت الدكتورة في مساعدتها وزيارتها عدة مرات، ورغم ذلك لم تشعر ندى بالراحة والسلام النفسي، لأنها تعرضت لأكبر صدمة بسبب مشكلة والدتها ووالدها غير الحقيقي الذي سافر إلى خارج المدينة بعدما تزوج من امرأة أخرى، لعلها اشتاقت إلى والدها المقرَّب الذي خذلها.

ولم يعد يطمئن عليها وتخلّى عنها، فانقلبت حياتها رأسًا على عقب وخسرت كل شيء في لمح البصر، وابتعدت عنهم وفشلت في حياتها بسبب حالتها النفسية، ولم تعد تحتمل العيش في تلك الحياة القاسية، فأصبحت تفتح هاتفها لتصفح مواقع التواصل الاجتماعي لمدة أربع وعشرين ساعة يوميًا، ولم تعد تطيق العيش في ذلك الواقع القاسي. واكتشفت حقيقة الحياة، وعانت من الخذلان والغدر، وأُغلقت الأبواب في وجهها، لكنها لم تعد تهتم بعائلتها منذ تعلّقت بهذا الجهاز، ولم تعد تسيطر على عقلها بسبب قلة نضجها وقلة خبرتها في الحياة. وبدأت تكره وسائل التواصل الاجتماعي، وشعرت بالوحدة أكثر بكثير وسط تجاهل والديها وعدم التفاهم والانسجام معهما، وسيطر عليها شعور الندم والتعاسة، وأنها لا تستحق العيش مع العائلة المنفصلة. وسيطرت عليها فكرة الانتحار، وحاولت عدة مرات لكنها فشلت، ولم تعد ترى سببًا لوجودها في هذه الحياة وسط العالم الخارجي.

وفي ليلةٍ ما، ذهبت إلى عمارة سكنية وصعدت إلى السطح، وأخذت تبكي على كل شيء، ووقفت على سور السطح وأغمضت عينيها، وكانت الليلة ممطرة والسماء مظلمة مع الرعد والبرق، وحاولت أن تقفز وفجأة، جاء شاب مجهول رآها وهي واقفة على سور السطح، وحاول أن ينقذها، فلم تمت بفضل هذا الشاب الشهم الذي نظر إليها وقال:

- لا تنتحري، توجد أشياء رائعة في هذه الحياة، فلربما تصبحين عظيمة وقوية وبطلة ملهمة في المستقبل. توقفي عن التشاؤم وثقي بي، فهناك حياة جديدة بعد نهاية الحياة القديمة، كما يقال يجب أن نبدأ صفحة جديدة، ولتذكري أن هناك دائمًا فرصة جديدة.

ولم تُصغِ لنصيحة الشاب الشهم، فنزلت إلى الأسفل وعادت إلى منزلها في تلك الحالة المريبة وبعد أيام قليلة، رأت صورته في إحدى الصحف، وقد تبيّن أنه كان فنانًا مشهورًا، وقرأت خبر وفاته في حادث سير. صُدمت حينها، إذ لم يخطر ببالها يومًا أن ذلك الشاب النبيل، الذي أنقذها من الموت ومنحها فرصة للحياة، قد لقي مصرعه.

وذهبت إلى عيادة الطب النفسي بعد أن حددت موعدًا. ابتسمت الدكتورة جيهان عندما ظهرت المريضة النفسية أمامها وقالت لها:

- سعيدة بوجودك معي، هذا يعني أن الأمل لا ينتهي، بل هناك حياة جديدة مليئة بالصفحات البيضاء. توقفي عن التشاؤم، فبإمكانك أن تغيري حياتك القديمة وتحوليها إلى حياة جديدة مليئة بالطاقة والعزيمة والأحلام. إنني أود أن أساعدك على تحسين حياتك الجديدة، ويجب أن تخبريني عن مرحلة الطفولة حتى المرحلة الحالية في حياتك.

بَدَت المريضة متوترة ومرتبكة، فهي لا تعرف كيف تحكي للدكتورة النفسية، فنظرت نحو الأرض وقالت لها بعد أن انحنت رأسها:

- لا أعرف كيف تستطيعين فعل ذلك، ولكني أتمنى أن يحدث ذلك يومًا. إنني أحتاج إلى معجزة تغير حياتي إلى الأبد، لا أعرف من أين أبدأ حكايتي.

تفهمت الدكتورة موقفها، وسمحت لها أن تأخذ استراحة، وأشارت إليها بالاستلقاء على الأريكة الطويلة (الشيزلونج) والاسترخاء. فقالت لها الدكتورة:

- من المهم أن تخبريني بكل شيء عن حياتك الماضية.

قالت المريضة بعد أن تنفست بعمق ونظرت نحو السقف:

- ليس من السهل عليَّ أن أتذكر كل شيء في حياتي الصعبة المليئة بالأحداث القاسية والطفولة المؤلمة. حسنًا، سوف أحاول أن أحكي لأشعر بالراحة على الأقل، وسوف أحتاج إلى قليل من الوقت لكي أتذكر بشكل جيد عند العودة إلى أفكاري ومشاعري المتضاربة.

قالت لها الدكتورة بعد أن ابتسمت:

- لا مشكلة في ذلك، ولكن تذكري دائمًا أن هناك طريقًا بداخلك، لا تبحثي في المكان الخطأ. يجب أن تعيدي النظر في حياتك من الماضي إلى الحاضر، فأنتِ تستحقين أن تفكري جيدًا، وعليكِ أن تتغلبي على الجدار الضخم لكي تحققي أحلامك وتصلي إلى مكانك المقدر، حيث بإمكانك أن تكتبي قدرك. يجب أن تتبعي قلبك وعقلك، فهما يقودانك إلى الطريق الصحيح. لا توجد معجزة، بل بيديكِ ستُفتح الأبواب المغلقة.

حكت المريضة للدكتورة النفسية وهي في حالة خوف واضطراب:

- أُصبت بالاكتئاب الحاد منذ اتُّهمت بالجنون لأن أفكاري غريبة قد تجاوزت الحدود إلى الخيال، ولكن ربما فقدت الخوض في الواقع القاسي. لقد تغيرت بعد أن وقعت في عالمي الذي يشبهني، وهربت من القصر المهجور في مرحلة طفولتي بعد أن أصبح لديّ انفصام عقلي. دخلت في نوبة عصبية وأصبحت مضطربة نفسيًا بسبب التفكير الزائد فيما مررت به، ولكني ما زلت أُصاب بالوسواس القهري. أصبحت محبة للتنظيف والنظام، فصُدمت من إصابتي بأمراض جسدية وعقلية، واكتشفت أنني أصبحت ثنائية القطب بهذه الطريقة الصعبة.

كتبت الدكتورة النفسية في مذكراتها بعد أن استمعت إلى حديث المريضة النفسية، واستمرت الجلسات لأسابيع وشهور. لم تلحظ عائلتها غير الحقيقية يومًا ما حدث لها، ومرت بمفردها دون أن تحظى بالاهتمام الكافي. ثم تحسنت حال المريضة بعد أن تحولت حياتها البائسة إلى حياة جميلة، تعلمت فيها كيف تثق بنفسها وتحارب بمفردها. وبعد مضي شهور قليلة، أصبحت ندى قوية وناضجة، ثم اختفت في ظروف غامضة بعد أن أغلقت حسابها الوهمي وتوقفت عن زيارة الدكتورة جيهان. قلقت الدكتورة جيهان عليها ولم تتمكن من الاتصال بها، فقررت أن تذهب إلى منزلها للاطمئنان عليها، لكنها وجدت المنزل مغلقًا منذ وقت طويل ولا أحد فيه. وفي نفس الوقت، كانت ندى قد سافرت مع عائلتها التي تولت تربيتها في دار الأيتام، للانتقال من المنزل القديم إلى منزل جديد. وخلال تلك الفترة، أنشأت صفحة وهمية جديدة عبر موقع الفيسبوك باسم مستعار إشرقت محمد، ولم يعرف أحد اسمها الحقيقي سواها.

وفي أحد الأيام، جلست الدكتورة جيهان بعد انتهاء العمل في قاعة الطعام بالمستشفى، فظهرت المريضة النفسية وسارت نحوها وجلست أمامها. قالت المريضة النفسية وهي عابسة، ونظرت نحو جيهان:

- أريد أن أخبرك بكل شيء. لقد قررت أن أكتب عن القصر المهجور منذ طفولتي، وكتبت قصتي عن القصر المهجور الذي لم يكن حقيقيًا يومًا، بل كان من وحي خيالي، لأنني أردت أن أجذب انتباه عائلتي غير الحقيقية. كنت أختلق المشاكل لكي يهتموا بي، والقصر المهجور غير موجود في الواقع، لأنني كتبت قصتي من وحي خيالي. لقد أرسلت لك عنوانًا خاطئًا منذ انتقلت إلى منزل جديد، وأخبرتك عن قصة القصر المهجور.

أكملت كلامها بعد أن نظرت بابتسامة خبيثة:

- تعرفين لماذا تركني والداي منذ كنت صغيرة في دار الأيتام؟ لأنهما أصبحا منزعجين من مرضي، ثقب في القلب مدى الحياة لا دواء له، وقد تركاني في دار الأيتام بسبب فقرهما الشديد.

بَدَت جيهان مندهشة وقالت لها:

- لقد مررتِ بما لا يتحمله أحد، ولم تستحقي العناد والقسوة، لأنك طيبة القلب. أنا آسفة لأنك تعانين طوال الوقت، لكنك اخترتِ أن تكوني البطلة في قصتك. لا تفرطي في مشاعرك بعد أن أصبحت مستهلكة.

أكملت جيهان كلامها بعد أن تنفست الصعداء:

- شعرتُ أنك مميزة واستثنائية عن باقي الفتيات، وأنك ستكونين قوية وطموحة. سأساندك وأساعدك، وكونك اعترفتِ بالحقيقة أمامي، فهذا يعني أنك شجاعة ذات ضمير قوي جدًا. لا يجب أن تتحملي كل شيء بمفردك.

ابتسمت جيهان بعد أن نظرت نحو المريضة التي بدت مضطربة:

- تذكري دائمًا أنك ستكونين قوية وملهمة دون أن يساندك أحد، وأنك ستستمرين في طريقك ولن تستسلمي أبدًا، لأنني موجودة معك في أي وقت. تذكري دائمًا أنك ستكونين فخورة بنفسك، وسأساعدك، وسنصبر معًا حتى نموت.

قالت المريضة بعد أن نظرت نحوها:

- ربما أخبرتك عن الشاب الذي أنقذني من الموت على السطح في جلساتنا قبل شهور، لكنه لم يمت. لم أستطع أن أكتب اسمه لأنني لا أعرفه، لكنني خلقت البطل في عقلي وكتبت عن قصتي معه لأجعل قصتي تبدو مثالية. المربية التي أحببتها طوال الوقت، لأنها تعتني بي ولم تتركني يومًا خوفًا من وحدتي، قد تعلقت بها وأصبحت بمثابة أمي الحقيقية التي حاولت أن تساعدني بعد أن تخلصت من إدمان التلفاز والإنترنت. ثم نشأت في منازل مختلفة عدة مرات حتى سكنت في شقتي الخاصة عند بلوغي الثامنة عشرة بعد أن تركت دار الأيتام. لكن عائلتي غير الحقيقية لم يكونوا موجودين، لقد اختلقت شخصياتهم لأجل أن أصبح مثيرة للشفقة. سئمت أن أراهم ينظرون نحوي بنظرة مليئة بالشفقة أمام الناس حولي في المجتمع العاق.

ليلى أشرف، التي غيّرت اسمها عدة مرات، كانت تعاني من اضطرابات نفسية، بما في ذلك الاضطراب ثنائي القطب والفصام العقلي، منذ نشأتها في الشوارع بعد أن التحقت بالمرحلة الإعدادية. أصيبت بالاكتئاب الحاد، وكانت في طفولتها صغيرة هادئة وحيدة، لم تملك أصدقاء يومًا، إذ كانت طفلة يتيمة في الأصل. تركها والداها في دار الأيتام بسبب فقرهما الشديد، فنَشأت في منازل عائلات مختلفة. منذ أصيبت بالهوس الناتج عن إدمان التلفاز، خرجت من دار الأيتام في الثامنة عشرة من عمرها، ثم فقدت هويتها الحقيقية واختلقت شخصية ندى، مستعيرة اسم زميلتها في المدرسة. لاحقًا، أنشأت صفحة جديدة باسم أشرقت، وكانت تخاف من المجتمع والناس حولها الذين كرهوها. جميع من عرفوا بمرضها ابتعدوا عنها وتخلوا عنها، مما أجبرها على التعرف على أشخاص جدد لأنها لم تكن ترغب في أن تصبح وحيدة، فهربت من ماضيها المؤلم. قالت ليلى، وهي تنظر نحو جيهان التي تسمرت في مكانها:

- أنا اسمي الحقيقي ليلى أشرف. أبحث عن قصتي وذاتي دون أن أعرف هويتي الخاصة، وأرحل إلى أماكن مختلفة. لم أملك عائلة واحدة منذ نشأت في الشوارع، ونمت على الأرض باستمرار إلى أن عملت في عدة وظائف مختلفة حتى سكنت في شقتي الخاصة واعتمدت على نفسي. لكنني كتبت عن عائلة غير حقيقية، وقصر مهجور، وشاب شهم، وكلهم لم يكونوا حقيقيين. اخترت أن أخلق شخصياتهم، ثم سافرت إلى مدينة أخرى واختفيت لأنني لا أستطيع أن أثق بك، وبعدها انتقلت إلى شقتي الخاصة.

ليلى أكملت كلامها بعد أن نظرت نحو جيهان التي بدت عابسة في وجهها:

- سوف أنهي حياتي لأتخلّص من مشاكلي، وكأنها لعنة تحيط بي، ولكنني لا أستطيع أن أتخلّص منها لأنني لا أعرف كيف أصف ما لا نرغب أن نشعر به؛ إن الحياة معقدة بما يكفي.

ثم نهضت من الكرسي بعد أن تألمت، إذ لم تتحمل حياتها منذ تراكمت الصعوبات المليئة بالمشقة، وسارت في اتجاه المصعد، ثم استدارت إلى الخلف وصعدت إلى المصعد الكهربائي. وقفت على سور السطح، بينما جيهان، التي صُدمت من كلامها واعترافاتها الحقيقية، أسرعت تركض إلى السلالم بعد أن صعدت ليلى بالمصعد. ثم وقفت جيهان على أرض السطح بعد أن توسلت إليها، لأنها لن تتحمل أن تراها في تلك اللحظة، ولم تتخيل يومًا أنها ستقف أمام محاولة انتحار. وحاولت أن تمسكها، لكن قدم ليلى انزلقت، وقبل أن تسقط فتحت ذراعيها بعد أن نظرت نحو السماء المظلمة، واعتذرت لنفسها لأنها لم تستطع أن تجد الحلول لمشاكلها الخاصة التي لم تنته يومًا. سقطت ليلى، وخرجت روحها من جسدها، رحلت ولن تعود إلى تلك الحياة. انهارت جيهان لأنها لم تستطع أن تنقذها، فقد حدث كل شيء في لحظة واحدة.

الكراهية والانتقام

أَنْتَ لاَ تَكْرَهُنِي ، أَنْتَ تَكْرَهُ الصُّورَةُ الَّتِي كَوَّنَتْهَا عَنِّي ، وَهَذِهِ الصُّورَةُ لَيْسَتْ أَنَا إِنَّهَا أَنْتَ !

-أدونيس

شروق أيمن كانت تعيش في حي المطرية، نشأت في عائلة ميسورة الحال تعيش في الحي الشعبي المليء بالبلطجية. كانت شروق متعلقة بشقيقتها الصغرى ريم، التي كانت تحاول تقليدها في كل شيء، حتى في تغيير شخصيتها العادية إلى شخصية متكبرة ومغرورة لا تناسب سنها الصغير، فقد كانت أقرب صديقة لأختها الكبرى أما والدتهما، ربة المنزل، فكانت ضعيفة الشخصية وجبانة أحيانًا، ولا تملك سلطة، حتى استسلمت بسبب عنادهما.

عندما كانت شروق طالبة في المدرسة الحكومية، لم تكن تتسم باللطف أو طيبة القلب، بل تغيرت شخصيتها وأصبحت اجتماعية على الدوام بفضل مظهرها الخارجي. كانت تذهب إلى المدرسة بهدف التسلية واللهو مع زميلاتها، لكنها ظلت دائمًا ثرثارة، متكبرة، ومغرورة، تُحب التباهي أمام الجميع. ومع الوقت، بدأت تُعامل فتاة تُدعى خلود بطريقة سيئة. كانت خلود طالبة مطيعة، هادئة وانطوائية، تذهب إلى مدرستها صباحًا وتعود إلى منزلها، تعاني من روتين يومي ممل. لكنها كانت تشعر بالغيرة الدائمة من شروق أيمن بسبب حب الجميع لها، على النقيض من خلود التي كانت تغمرها مشاعر الحزن على نفسها، وكثيراً ما كانت تسأل ذاتها: لماذا لا يُحبونني ولا يتحدثون إليّ؟، إذ كانت تشبه الفتاة غير المرئية بين الطلاب. ولهذا، كانت تعيش في اكتئاب مستمر، فهي لم تملك أصدقاء، والجميع كانوا يسخرون منها. نتيجة لذلك، أصبحت تكره شروق، وابتعدت عنها، ولم تعد ترغب في رؤيتها فقد استغلت شروق الجميع بعد أن نالت شهرة في المدرسة، حتى أصبحوا يتحدثون عنها في غيابها بسبب تسكعها مع الشباب خارج المدرسة دون علم والدها. كما كانت تتواصل مع الشباب عبر مواقع التواصل الاجتماعي خلال سن المراهقة وحتى الفترة الحالية. ومع ذلك، لم يعرف أحد سبب شهرة شروق أيمن وشخصيتها المغرورة المتسكعة المتكبرة.

وفي داخل الصف، كانت خلود جالسة على المقعد الأخير، فتجمع حولها بعض الطلاب وسألها أحدهم بنظرة متفحصة مليئة بالفضول:

- لماذا تجلسين بمفردك وحيدة دائمًا؟ وما الذي حدث لك؟

وفي تلك اللحظة، كانت شروق تقف وتتحدث مع زميلاتها، فانتبهت إلى الحديث وقاطعتهم بلامبالاة قبل أن تجيب خلود، قائلة:

- هي هكذا منذ الماضي وحتى الآن، دعوها وشأنها، فهي لم تستمع لكلام أحد على الإطلاق.

جعلت كلمات شروق خلود تبدو ضعيفة أمام الجميع، فشعرت بالضعف والإهانة أكثر من أي وقت مضى. ظلت خلود تُفضل الوحدة والانطواء الشديد، مما أثر سلبًا على حياتها وصحتها النفسية والعقلية. ابتعد عنها الطلاب، ولم تكن خلود الوحيدة التي تعرضت للسخرية والتنمر من شروق أيمن، لكنها كانت مختلفة عن بقية الفتيات، إذ كانت هادئة دائمًا، تشعر بالعجز، عاجزة عن الدفاع عن حقها أمامهم بعد أن احتقروا شأنها وسخروا منها. ولم تكن تفهم سبب كراهية شروق لها، فسألتها يومًا وهي تنظر إليها باستياء:

- لماذا لا تحبينني؟ هل فعلت شيئًا يجعلك تكرهينني، يا شروق؟

ترددت شروق وارتبكت وأشاحت بوجهها، فهي لا تحب خلود بسبب شخصيتها الضعيفة والمملة بنظرها ثم أكملت خلود بعد أن تنهدت بحزن:

- أعلم أنك لم تعتبريني صديقتك يومًا، رغم أنه لم يحدث بيننا أي مشكلة. فلماذا تفعلين ما يعرضني للإهانة والتنمر؟ ولماذا تدخلتِ في محادثة لا يحق لكِ الرد فيها بدلاً مني؟ إنني دائمًا أشعر بالشفقة عليكِ، لأنكِ لستِ جميلة ولا ذكية، ولديكِ عيوب لا يطيق أحد تحملها، كما قال الطلاب. أنا أكرهكِ لأنكِ أنانية وغبية، أليس كذلك؟

ردت شروق بلامبالاة:

- لا، لقد أسأتِ الظن بي. تدخلت لأنني أعرف أنكِ لن تستطيعي الرد عليهم لأنكِ خجولة.

ضحكت خلود من ردها وقالت لها بعد أن ابتسمت بخبث:

- يا إلهي، كم تبدين بائسة! أنا أعرف كم تعانين من الإشاعات التي تُقال من وراء ظهرك.

فردت شروق:

- أحقًا؟ فلماذا تبتعدين عن الجميع وتجلسين بمفردك بعيدًا؟ لماذا تفعلين ذلك؟

صاحت خلود فيها بغضب:

- لقد تعبت من كل شيء لدرجة أنني أصبحت أكرههم! لقد جعلوني أشعر بهذا الكره، فهم يتحدثون من وراء ظهري، وأنتِ تفعلين الشيء ذاته! لم أعد أميّز بين الأخيار والأشرار، لم أعد أحتمل، حتى إنني تظاهرت بالغباء وعدم المعرفة. يظنون أنهم يعرفون عني كل شيء، لكنهم في الحقيقة أغبياء، وأنتِ كذلك!

ثم رسمت خلود على ملامحها ابتسامة صفراء وقالت:

- يا إلهي، إنكِ لا تفهمينني أبدًا! أنا أعرف أفعالهم، رأيت تصرفاتهم، قرأت نظراتهم. إنهم يحكمون على مظهري الخارجي ويتظاهرون بعدم الفهم، ولا يملكون الشجاعة لمواجهتي!

وتركتها شروق وحيدة بعد أن ذهبت إلى أصدقائها خارج المدرسة. كانت شروق متباهية، باردة المشاعر، تحب لفت الأنظار إلى درجة أنها ارتكبت أفعالاً سيئة دون علم والديها. أهملت دراستها كعادتها، وسعت إلى أن تبدو مثالية، متظاهرة بما ليس فيها، لكنها فشلت في ذلك بسبب أسلوبها المبالغ فيه. كانت تقيم علاقات مع الشباب لمجرد التسلية والمتعة، لأنها تريد أن تشعر بأنها مرغوبة وتحتاج إلى الاهتمام. وكانت تغار من خلود بسبب شخصيتها الطيبة، ولأنها محبوبة من الجميع ومبتسمة دائمًا.

لكن خلود لا تستطيع الخروج مع أصدقائها خارج المدرسة بسبب والدتها التي تجبرها على البقاء محبوسة في البيت دائمًا، ولا تسمح لها بفعل ما تريد أو الخروج مع أصدقائها، على عكس شروق التي اعتادت التسكع. تشعر خلود بالحزن والألم والتعاسة، مما جعلها تكره حياتها. فهي لا تعرف كيف تذهب إلى أي مكان، بعيدًا كان أم قريبًا، بمفردها، بسبب والدتها التي ترافقها دائمًا أينما ذهبت، ولم تتركها يومًا تتصرف بحرية. اعتادت والدتها حبسها في غرفتها وحيدة، دون أن ترى العالم الخارجي. ظلت خلود محبوسة في المنزل سنوات طويلة، نصف حياتها، وهي تندم دائمًا على ضياع عمرها دون أن تفعل ما تحبه. كثيراً ما تبكي وتتألم، وفي داخلها الكثير من الندم والخذلان والحزن. إنها تكره أن تشعر بالنقص والفراغ في حياتها، وقد تشوهت نفسيتها. أصبحت كمن تحارب صراعًا داخليًا بين عقلها ونفسها، تعاني من الاضطراب، وتشعر أن الحياة ليست عادلة على الإطلاق بوجودها.

كانت تشبه الحجر الثقيل على حياة من حولها، فربما تموت وحيدة لذا ظلت تجلس بجانب الجميع هادئة وصامتة، تعاني من التعب وعدم الشعور بالسعادة والبهجة. ومع مرور كل يوم، تزداد وحدتها أكثر، فبدأت تكره شروق كراهية شديدة وتحقد عليها وتحولت خلود، الفتاة الطيبة، إلى فتاة شريرة بعد أن تعلمت درسًا قاسيًا، فعزمت على استغلال شروق للانتقام منها.

وفي صباح اليوم التالي، جلست خلود في السيارة التي كانت تقلها إلى المدرسة كالعادة، فرأت شروق أيمن مع صديقتها المقربة روان داخل حديقة الحيوان، بعد أن تسللت إلى الخارج دون علم أحد. وبعد انتهاء اليوم الدراسي عند الظهر، عادت خلود إلى منزلها، فأخبرت والدتها بما حدث في الصباح الباكر. قالت خلود وهي تنظر إلى والدتها التي كانت منشغلة بالطبخ:

- كنت جالسة في التاكسي في طريقي إلى المدرسة، ورأيت شروق أيمن مع صديقتها المقربة بعد هروبها من المدرسة. يجب أن تخبري المعلمة فاتن بموضوع التسلل والهروب من المدرسة!

فاتصلت والدتها بالمعلمة فاتن وأخبرتها بما قالته ابنتها. بدورها، أبلغت المعلمة فاتن مدير المدرسة بموضوع الطالبة التي تسللت إلى الخارج في اليوم السابق. فغضب المدير غضبًا شديدًا بسبب تصرفات شروق غير اللائقة، لأن خلود لم تكن تريد أن يضيع حقها بما فعلته شروق أمامها كعادتها. استغلت خلود والدتها للانتقام من شروق عقابًا لها على تسللها وتسكعها، بعكس ما تعانيه هي.

وفي صباح اليوم التالي، استدعى المدير شروق وبدأ يوجه إليها اللوم والتحذيرات، ثم منحها فرصة أخيرة، محذرًا إياها من تكرار ذلك مرة أخرى. لكن شروق تجاهلت أوامر المدير. وانتشرت إشاعة عن عقاب شروق في المدرسة، وساءت سمعتها بعد أن ظهرت عارية في فيديو خادش للحياء. ومع انتشار الفيديو وفضائحها غير الأخلاقية، أصبح الجميع يكرهونها وابتعدوا عنها.

انتقلت إلى مدرستها الجديدة في أول يوم دراسي بغرض التسلية والمرح، فتركت مدرستها القديمة، إذ لا تهتم بالدراسة أبدًا، وهي منشغلة بعلاقاتها مع الفتيان المتسكعين طوال الوقت دون علم أحد. أما في أول أيام بداية الدراسة في الفصل الدراسي الأول في الصف الأول الثانوي، فقد بدأت خلود تشعر بالراحة عندما بقيت في مدرستها القديمة بعد أن أنهت مرحلتها الإعدادية، ثم أكملت دراستها الثانوية في المدرسة ذاتها. تخلصت خلود من شروق الثرثارة بسبب شهرتها السخيفة، تلك التي كانت دائمًا تتحدث وتثرثر طوال الساعات دون توقف مع الأصدقاء القدامى على مدى السنوات الماضية والأخيرة. وبعدما غادرت شروق، بدأت خلود حياتها الجديدة في مدرستها الثانوية.

درست شروق في معهد الحاسبات العالي في حي مدينة نصر، بينما درست خلود في كلية التربية الفنية بجامعة القاهرة. لم تعد خلود تتذكر شروق مرة أخرى، فخرجت شروق المؤذية من حياتها، وودعت ذكرياتها المؤلمة، وأغلقت قصتها المؤلمة مع شروق إلى الأبد. عاشت خلود حياتها الجديدة المليئة بالسعادة دون أن تحتاج إلى أحد، واعتمدت على نفسها كالمعتاد. تخرجت من كلية التربية الفنية، وأصبحت ناجحة في مجالها، ومضت قدمًا نحو الأمام دون أن تنظر إلى الخلف.

سوء الظن

يشعر المرء بالخذلان وفقدان الثقة حين يسيء الظن به أقرب الناس إليه، فلا يصلح مرة أخرى عندما يفقد الثقة. لذا، من المهم أن نرى بداخلنا كما نرى أنفسنا، ويجب ألا نحكم على الآخرين قبل أن نتعامل معهم من وجهة نظرهم فالحياة خادعة، تشبه ما تخفيه الكواليس، والحقيقة التي تراها العيون قد تخدعنا أحيانًا إن المجتمع المليء بالتقاليد والمبادئ والأعراف يشبه الخرافة القديمة؛ لا يهم ما تراه بقدر ما يسمح لك أن يتحكم فيك ويجعلك مثلهم، فتصدق ما يقال. لكن يجب ألا نسمح للمجتمع أن يؤثر على مظهرهم الخارجي أو أن يزرع فينا الخوف من نظرة الناس. والحقيقة أنه ينبغي التمسك بالمبادئ والتقاليد، مع محاولة التغيير من أجل أنفسنا.

ياسمين تحب الحرية، وتبحث عن حبها لذاتها حين تختار التفاصيل المهمة بحسب رغبتها في الأشياء البسيطة ولم تسمح لأحد أن يتحكم فيها، وتحب أن تتخذ قراراتها بنفسها، فلا تحتاج إلى طلب الإذن من عائلتها إذا أرادت الخروج في نزهة مع الأصدقاء ولا يمكنها أن تتجاوز الحدود بينها وبين الشباب، ولم تفكر في الرجال يومًا، ولم تفعل أشياء محرمة أبدًا منذ أن كانت في مرحلة المراهقة، كان والدها يرفض ذهابها مع أقرانها، سواء كانوا فتيات أم شبابًا، وكان يقول لها إن اختلاط الشباب محرم في مجتمعها، مرددًا كلمات بدت في رأيها سخيفة فكانت تتجاهل كلام والدها، ولم تجد دليلاً على صحة قوله على الإطلاق فهي تحب أن تفعل ما تشاء بحسب راحتها، وتشعر بالضيق من والدها الذي يجبرها على طاعة أوامره، ولم يستمع إليها يومًا. لهذا كانت تبتعد عنه دائمًا، ولم ترَ أن الاختلاط بالشباب محرم.

كانت طالبة ذكية، نحيفة، قصيرة القامة، وارتدت الحجاب منذ أن كانت في الصف الابتدائي بسبب طالب جذب شعرها. وقد تفوقت في جميع مراحلها الدراسية، وكانت محبوبة واجتماعية، وحفظت القرآن الكريم مع مرور الوقت. أصبحت طالبة في الصف الأول الإعدادي بعد أن أكملت مرحلتها الابتدائية، وهي تنتمي إلى عائلة متوسطة الحال. لديها أخوات تعتبرهن مجرد أفراد في حياتها، إذ لم تربطها بهن أمور مشتركة سوى صلة الدم أمها ربة منزل طيبة القلب، ولم يكن في عائلتها رجل سوى والدها، وكانت تتمنى أن يكون لها أخ يمنحها الحنان والأمان ويعوضها عما تفتقده.

وفي أحد أيام المرحلة الإعدادية، بدت ياسمين متوترة وشعرت بالقلق من احتمال وقوع مشكلة صعبة. كانت تقف خارج باب المدرسة بعد أن تأخر السائق عدة ساعات، فظلت تنتظره. وبعد انصراف الطلاب والطالبات، بقيت ياسمين وحدها، باستثناء أحد الطلاب من المدرسة نفسها، وهو أحمد، الذي لم يستطع أن يتركها وحيدة في ذلك الوقت المتأخر. كان أحمد طالبًا ذا بشرة داكنة، يرتدي نظارات طبية، وشعره مموج، برفقة صديقه الآخر.

سألته ياسمين بارتباك:

- لماذا ما زلت موجودًا في المدرسة؟ يمكنك أن تتركني بمفردي وتعود إلى منزلك، وسأتصرف بنفسي.

فقال لها:

- لا، لن أتركك وحيدة في الليل بمفردك، إنك بمثابة أختي، وأنا هنا لحمايتك.

ردت ياسمين، وهي لا تريد أن يراها أحد معه بسبب طباع والدها:

- ولكن السائق سيتأخر، يمكنك أن تذهب ولا تقلق عليّ إطلاقًا، أنا متأكدة أنه سيأتي بعد قليل.

رفض أحمد، فهي بالنسبة إليه كأخته. شعرت ياسمين بالقلق، وكان بإمكانها أن تعود إلى منزلها القريب من المدرسة بمفردها، لكنها لم تفعل خوفًا من والدتها التي كانت تحميها من الناس المجهولين، خشية أن تضيع في الشوارع. وحاولت ياسمين مرارًا أن تقنع والدتها بالاعتماد على نفسها، لكن والدتها رفضت ذلك عدة مرات. ظلت ياسمين متضايقة، فهي تعتمد على سائقها الذي اعتاد أن ينقلها إلى المدرسة ذهابًا وإيابًا في سيارة تاكسي. كان السائق يُدعى وائل، ولم تشعر ياسمين بالراحة معه في السيارة بسبب نظراته المخيفة والمريبة التي كانت تلحظها في مرآة السيارة. اشتكت لوالدها من ذلك، لكنه تجاهل شكواها.

في تلك الأثناء، اتصل السائق وائل بوالد ياسمين، الذي كان جالسًا في المنزل، وأخبره بتأخره بسبب عطل أصاب سيارته في منتصف الطريق، مما يمنعه من الذهاب لأخذها. فقرر والدها أن يذهب بنفسه إلى المدرسة لاصطحابها. ركب سيارته، وحين وصل إلى المدرسة، بدأ يبحث عن ابنته ياسمين داخل المدرسة ثم خارجها، حيث كانت تقف تتحدث مع أحمد وصديقه الآخر. غضب والدها حين رآهم، وظن أن ابنته كانت تسكع مع الشباب. اتصل بها من مسافة بعيدة ليختبر ما إذا كانت سترد على اتصاله أم لا، لكن هاتف ياسمين لم يكن في حالة جيدة، فلم ترَ الاتصال، مما زاد من تعقيد الموقف. لم يخطر ببالها أن والدها موجود، لكنها انتبهت أخيرًا حين رأت والدها ينظر إليها بغضب شديد. اقتربت من والدها، الذي لم ينطق بكلمة واحدة، فنظرت إلى الأرض وسارت برفقته خجلة، تتوقع أسوأ الاحتمالات. تجاهلها والدها تمامًا، ثم اتجها إلى السيارة، فجلست في المقعد الخلفي.

كانت ياسمين متأكدة أن والدها سوف يضربها فور عودتها إلى المنزل، وبدت خائفة وقلقة، فهي لم ترتكب خطأً، حيث تحدثت مع طلاب خارج المدرسة وحين وصلا إلى البيت، وجدت والدتها مشغولة في المطبخ، فسألتها غاضبة:

- لماذا لم تخبريني أن أبي قادم إلى مدرستي؟

ردت والدتها:

- لم أعلم أن والدك سوف يذهب إلى المدرسة بعد أن عرف من السائق وائل أنه لم يذهب إليك بسبب عطل في سيارته.

صاحت ابنتها وهي تكاد تنفجر من الغضب:

- لماذا لم تأتِ أنت لتأخذيني؟ إن أبي أساء الظن بي دون أن يسألني!

وفي نفس الوقت، ناداها والدها، فذهبت إليه وهي متوترة. فنظر نحوها بغضب وسألها:

- من هم الذين كنتِ تتكلمين معهم؟ ولماذا تفعلين ذلك؟

أجابت:

- هم زملائي في نفس الصف، ولكني كنت أتكلم معهم وحسب دون التسكع على الإطلاق.

قال:

- لا، ولكنهم ليسوا محترمين على الإطلاق.

صاحت ياسمين وهي تدافع عن نفسها، وكانت متأكدة أنها لم تفعل شيئًا محرمًا:

- ولكنهم زملائي في نفس الصف، ولم يذهبوا ويتركوني بمفردي خوفًا عليّ، فهم بمثابة إخوتي. ولكني لم أتسكع، كنت أنتظر السائق ولم أفعل شيئًا على الإطلاق، لكنك أنت أسأت الظن بي حين وجدتني أقف بجانب الطلاب.

صاح والدها بغضب:

- لا، أنا محق في موضوع الرجال، فلا تعيدي ذلك مرة أخرى، هل فهمتِ؟'

خرجت ياسمين وظلت تبكي حتى تورمت عيناها، فقد أساء والدها الظن بها واعترض على الاختلاط بينها وبين الشباب، فهي صغيرة ولا تعرف أفعالهم السيئة. ظلت ياسمين حزينة لعدم ثقة والدها بها، وأصبحت صامتة، شاردة الذهن، وحزينة طوال سنوات الدراسة بسبب والدها. ولكن الغريب أن زميلتها شروق، من نفس المدرسة، كادت تكشف حقيقتها أمام والدها خارج المدرسة؛ إذ نظرت نحو والدها فغيرت حركاتها من الإغواء أمام الشباب إلى حركات محترمة وخجولة، فلم يدرك حقيقة ابنته، وهي أنها بارعة في الكذب وماهرة في الإخفاء، إذ كانت معتادة على خداع والدها. كانت تتسكع مع الشباب دون علمه، فخانت ثقة والدها، على عكس ياسمين التي ظلت وحيدة منعزلة، وتحولت روحها المرحة إلى بائسة، فابتعد عنها زملاؤها وتركوها في وحدة قاسية. كانت تعود إلى المنزل كل يوم، وبعد أن تصالحت مع والدها، كانت تتظاهر بالابتسامة والضحكات، وأصبحت مهملة ومتعبة في مدرستها، على عكس شخصيتها المزيفة المتضاربة في المنزل، حيث كانت نشيطة ومضحكة مع عائلتها. استمرت في وحدتها الصعبة والحزينة في المدرسة، لا ترغب في التحدث مع زملائها، فأصابها الاكتئاب الحاد. وبعد مرور سنوات، لم تعد ياسمين تتذكر الحادثة بعد أن تخرجت من المدرسة القديمة وودعت ذكرياتها السيئة، فقد كان من المفترض أن تقضي أيامًا جميلة في مرحلة المراهقة. ذات يوم، كانت ياسمين جالسة على المقعد الأمامي بجانب والدها، الذي نظر إلى الطريق بتركيز شديد، وقال بابتسامة مشرقة:

- أريد أن نتحدث معًا يا ابنتي الحبيبة، فإنكِ صديقتي الوحيدة التي تفهمني.

سخرت ياسمين من كلامه، وابتسمت ابتسامةً وقالت:

- لا، لم تكن صديقي يومًا، إنك لم تستطع أن تفهمني يومًا، لقد كنتُ وحيدةً دائمًا ولم يكن لدي أصدقاء طوال الوقت، ولم يدافع أحد عني يومًا، إنك المتسبب في فقدان أصدقائي، لقد دمرتَ حياتي الاجتماعية.

لم يصدقها والدها، فهو دائمًا لا يأخذ كلامها على محمل الجد لأنها تمزح معه دومًا، ولم يدرك سبب التغيير السيئ الذي أصاب ابنته، لأنه لم يكن لديه الوقت بسبب انشغاله في عمله.

- لا، ولكن عليكِ أن تتحدثي مع الأصدقاء، فإنكِ لستِ وحيدةً إطلاقًا، فأنا صديقكِ، أليس كذلك؟

انزعجت ياسمين وبدت متضايقةً، لأنها تعرف والدها أكثر من نفسها، فهو لم ولن يفهمها يومًا، ولا يعرف ما بداخلها على الإطلاق، فقالت له بعد أن نظرت إليه باستياء إنها لا تريد أن تتذكر الموقف المؤلم، فقد جعلها والدها تعود إلى ذكرياتها المؤلمة القاسية :

- في الماضي، أنت أخبرتني أنني لستُ محترمةً حين رأيتني أقف مع زملائي الشباب في المدرسة، أليس كذلك يا أبي؟

ارتبك والدها وأكمل قائلاً:

- لقد انتهى الماضي، إنني كنت خائفًا عليكِ وأنتِ صغيرة، لم تكبري بعد، ولكنكِ الآن شابة ناضجة، ويمكنكِ أن تتحدثي مع الأصدقاء، فأنا أعرف أخلاقكِ الحسنة يا ابنتي.

بدت ياسمين عابسة الوجه؛ لأنها أدركت أن الوقت قد فات ولا يمكن إصلاح ما تحطم فقالت لوالدها:

- لقد فات الأوان، ولم أعد أرغب في التحدث معهم إطلاقًا، إنني لا أحبهم أبدًا، وقد انتهى كل شيء يا أبي لقد نضجت، وأصبحت في سن الشباب، وتصالحت مع الماضي، وتأقلمت مع الحياة القاسية، ولم تعد تطيق الأفعال السيئة من الرجال، ولا تحتمل الشباب أبدًا.

الزميلة البيضاء

فِي هَذِه الأَوْقات – حَيْث يَكُون المظْهر الاجْتماعيُّ أَكثرَ أَهَميَّة مِن اَلْجَوهر الرُّوحيِّ – مَا أَصبَح شَوقُنا لِلتَّغْيير هُو فِي الحقيقة الرَّغْبة اللَّاواعية فِي التَّحَكُّم لَيْس فقط فِي شَكْل أجْسادنَا (وفْقًا لِلْقيم السَّائدة) وَلَكِن لِلسَّيْطرة على بِيئتِنَا أَيْضًا ، بِغضِّ النَّظر عن ذَلِك . مِن التَّكْلفة .

جايْ فِينلِّيْ

رهف كانت طفلة ذات بشرة بيضاء، جاءت ممسكة بيد والدتها الطيبة، بينما كانت ياسمين واقفة أمام طابور الصباح مع الطلاب الصغار في المرحلة الابتدائية. فانتبهت لوجود الطفلة البيضاء في اليوم الأول من العام الدراسي ومع مرور الوقت، وحتى السنوات الأخيرة في المرحلة الإعدادية، لم تكن ياسمين مقربة من رهف بعد أن تعرفت عليها في الوقت نفسه، كانت رهف، حسب ظنها، متعلقة بياسمين. ولم يعرف أحد سبب البشرة البيضاء التي تميز رهف، فالجميع يخاف منها بسبب بشرتها، إذ كانت مختلفة عن باقي الطلاب، كأنها ملاك نقي وطاهر من كوكب آخر.

رهف، ذات الابتسامة البيضاء، تجعلك تندهش من عينيها الزرقاوين، وترتدي نظارة طبية وتبدو صامتة معظم الأوقات، وليست مجرد إنسانة عادية، بل روحها نقية وطيبة القلب. تتميز بوجه فريد من جمالها الأبيض. لم ينتبه أحد لوجودها وسط الطلاب والطالبات داخل المدرسة وأثناء النشاط المدرسي وكانت ياسمين واقفة أمام رهف، تضحك وتسخر منها في قاعة الرياضة برفقة صديقاتها أثناء الاستراحة، بسبب بشرتها المختلفة وشعرت رهف بالحزن بسبب بشرتها البيضاء، وبعد عودتها من المدرسة، قررت أن تخبر والدتها بالتنمر الذي تعرضت له من ياسمين ولم تدرك ياسمين خطورة التنمر الذي أخبرت عنه رهف والدتها، ظنًا منها أن الموضوع قد انتهى، لأنها لم تكن تمتلك خبرة في الحياة، بالإضافة إلى صغر سنها. لكنها شعرت بالندم بعد أن سخرت من رهف، دون أن تعلم سبب فعلتها تلك. فلربما ارتكبت خطأها بسبب صغر سنها أو عقلها الخالي من التجارب، لكنها لا تعلم ما ينتظرها على الإطلاق، فهي أنانية وتحب التفكير بنفسها فقط.

وفي اليوم التالي، جاءت والدة رهف إلى المدرسة بسبب ما حدث في اليوم السابق، فوجدت ياسمين التي بدت متوترة فور رؤيتها. كانت رهف مختبئة وراء والدتها، خائفة من ردة فعل والدة رهف الغاضبة.

- لماذا تفعلين ذلك؟ لماذا تضحكين عليها وتسخرين منها؟

فلم تجب ياسمين، لكنها شعرت بالخوف ولم تعرف كيف تتصرف في ذلك الموقف. لم تستطع أن تقول شيئًا، فاعتذرت، وقبلت والدة رهف اعتذارها. وفي الوقت نفسه، أدركت ياسمين أنها لا تستحق زميلة مقربة مثل رهف أبدًا. لهذا، بدت ياسمين فتاة غير جيدة من وجهة نظر والدة رهف، ففقدت الثقة في علاقتها بوالدة رهف. ونتيجة لذلك، كرهت ياسمين رهف ولم تطق وجودها، فابتعدت عنها، وأصبحت علاقتهما سطحية بعدما كانت رهف تعاملها كصديقة داخل الصف. ومضت الأيام، وفي المرحلة الثانوية، شعرت ياسمين بالضيق والانزعاج من رهف، وحاولت أن تبتعد عنها، لكنها لم تنجح أبدًا بسبب طيبة رهف. ومع ذلك، لم تعتبر ياسمين رهف صديقة يومًا. وفي تلك الفترة، قررت أن تتجاهل رهف، فأصبحت باردة المشاعر تجاهها. كانت جالسة أمامها في الصف، فوجدت رهف غاضبة منها، وصاحت فيها بغضب:

- أرسلتُ إليكِ رسائلَ بالأمس أخبرتكِ فيها أنني أريدكِ أن تتحدثي إليَّ، لكنكِ تتجاهلينني. فلماذا تفعلين ذلك؟ وما سبب تجاهلكِ لي؟
- ليس لي علاقة بكِ، ولا أرغب في التحدث إليكِ. سوف تتصرفين بمفردكِ دوني.

بعد فترة قصيرة، استسلمت ياسمين بعدما شعرت بالشفقة عليها، فسمحت لها أن تتحدث أو تتواصل مع روان من أجلها. لكنها لم تستطع أن تخبر رهف بعدم رغبتها في الاستمرار في علاقتها بها، حفاظًا على مشاعر رهف الرقيقة. كانت رهف ترغب في الخروج مع ياسمين، فاستأذنت والدتها بعد أن وافقت ياسمين، لكن والدة رهف رفضت واعترضت بحجة انشغالها بأعمال المنزل، مما جعل ياسمين تشعر بالإحباط بسببها.

حاولت ياسمين إقناع والدتها بالاتصال بوالدة رهف لتذهب مع رهف إلى النادي الرياضي، فاتصلت والدتها بوالدة رهف إرضاءً لها، لكن والدة رهف رفضت. وفوجئت ياسمين بأن رهف خرجت مع أمها برفقة صديقة أخرى من نفس المدرسة القديمة دون علمها، إذ أخبرتها صديقتهما بذلك. فشعرت ياسمين بالكراهية تجاه أم رهف، وتفكرت فيما حدث بينهما في الماضي. وياسمين ليست لها ذنب على الإطلاق في أن رهف تعلقت بها طوال فترة الدراسة، فقد أحبت رهف ياسمين، وحتى في الفترة الحالية تتواصل معها أحيانًا عبر مكالمات الفيديو والرسائل.

وفي اليوم التالي، داخل قاعة الدراسة الكبيرة، اكتشفت ياسمين أن زميلاً مشتركًا من نفس المدرسة القديمة قد اتصل برهف بمكالمة فيديو والتقط صورًا لها دون علمها. كانت رهف تتحدث بنية حسنة مع زميلها في المكالمة المباشرة. وفي المساء، أخبرت رهف ياسمين بما حدث، فأخبرت رهف والدتها بدورها بعد أن عرفت من ياسمين، فقلقت مما فعله الزميل. وفجأة، في منزل والدة ياسمين التي كانت منشغلة في المطبخ، وجدت اتصالاً من والدة رهف تسأل عن سبب التقاط صور لابنتها مع زميل المدرسة دون علمها، فقالت لها:

- الزميل أحمد، لماذا يفعل ذلك؟ ولماذا يلتقط صورًا مع ابنتي؟ فلماذا أخذها دون علمها، وما زالت لديه صور ابنتي، لماذا؟

نظرت والدة ياسمين نحو ابنتها وهي ممسكة بالهاتف على أذنها، فأخبرتها بدورها. فتدخلت ياسمين بعد أن فهمت سبب الخوف والقلق، ولم تتوقع أن رهف ستخبر والدتها بهذه السرعة. وليس ذنبها على الإطلاق، فهي لم تكن تعرف العلاقة بين رهف وأحمد، ولا سبب أفعال أحمد من وراء ظهرها. وهي ليست مقربة من زملاء المدرسة، فهم مجرد معارف في حياتها طوال هذا الوقت.

فقالت ياسمين لوالدتها:

- لا، لم يحدث ذلك، فلم يأخذ أحمد منها صورًا على الإطلاق. فلربما أسأت الظن بما أخبرتها، وليس لي ذنب أبدًا.

وفي الوقت نفسه، أرسلت رهف رسائل نصية إلى هاتف ياسمين، فتجاهلتها ياسمين، إذ لم تعد تطيق رهف وندمت على ما فعلته لحمايتها من أحمد، لأنه إنسان سيئ وغريب الأطوار. حاولت ياسمين تحذيرها لتبتعد عن أحمد من أجل حمايتها، لكن المشكلة تطورت عندما لم تقتنع رهف ولم تفهم على الإطلاق، واستمرت في التواصل مع أحمد طوال الوقت. فتخلت ياسمين عن رهف، ولم تعد تراها أو تتحدث إليها لانشغالها الدائم. وبعد فترة طويلة، ذهبت ياسمين إلى مسرح الجيزة مع الأصدقاء للمشاركة في حفل بالمسرح، وقابلت رهف أمام المسرح. جلست بجانبها، وكانت رهف مبتسمة وجميلة مع صديقتها وجارتها من نفس المنطقة، التي تدرس معها في الجامعة.

وقالت رهف بعد أن نظرت نحو ياسمين:

- أتمنى أن تكوني بصحة جيدة، لقد اشتقت إليكِ كثيراً.

لم ترتح ياسمين، لكنها تظاهرت باللطف معها، فهي لم تحب رهف، لكنها تراعي مشاعرها ولا تريد إحراجها. فقد اختارت ياسمين أن تبتعد عن الأشخاص الذين لا يتوافقون معها، لاختلافهما في كثير من الأمور وتباين شخصيتيهما. ف رهف غنية، تعيش في مكان راقٍ، ووالدها مهندس إنشاءات، ووالدتها ربة منزل، وأخوها الصغير محمد ذو بشرة بيضاء بسبب مرض وراثي. أما ياسمين فهي فقيرة، تعيش في حي فقير، ووالدها متقاعد، ووالدتها ربة منزل. لكنها ليست سيئة ولا منافقة، بل تحاول أن تكون صادقة مع نفسها، وتسعى لتكون قوية بنفسها دون سند من أحد في هذه الظروف القاسية.

وبعد انتهاء يوم التدريب، لم تعد ياسمين تتواصل مع رهف بعد أن أرسلت صورتهما في المسرح، وبعد لحظات قليلة، حظرتها على مواقع التواصل الاجتماعي. شعرت رهف بالحزن والإحباط عندما حاولت التواصل مع ياسمين، لكن ياسمين لم تعد تتذكرها، إذ انشغلت بسبب ظروفها القاسية وبعد مرور سنة واحدة، قابلت ياسمين والدة رهف بالصدفة في محطة المترو، وكانت مترددة في إلقاء التحية عليها، فقد تذكرت ما فعلته بها وتراجعت عن ذلك وبعد أشهر قليلة، قرأت ياسمين مقالة مثيرة للاهتمام على الإنترنت عن موضوع لم تكن تعرفه من قبل، وهو مرض «الألبينو»، فاكتشفت سبب بشرة رهف وأخيها الصغير محمد، وأنهما مصابان بهذا المرض. وظهرت الحقيقة أن والدتها رفضت الذهاب إلى نادي «المقاولون العرب» بسبب المسافة البعيدة بينهما، فتضايقت ياسمين من والدتها، لكنها اندهشت عندما علمت أن رهف ما زالت تحبها، كالملائكة في روحها الطيبة. شعرت ياسمين بالخجل والذنب تجاهها، وأدركت أنها أخطأت في حقها، سواء بقصد أم بغير قصد.

وبعد عدة أشهر، حاولت رهف إرسال رسائل عديدة إلى ياسمين، لكن ياسمين تجاهلت الرسائل ولم ترد عليها، حتى توقفت رهف عن إرسالها. اكتشفت ياسمين أن رهف لديها صفحة شخصية جديدة، فأرسلت إليها الصور، وقررت إعادة التواصل معها. لكن رهف تجاهلت رسائل ياسمين للمرة الأولى، فغضبت ياسمين وشعرت بأسوأ شعور لا يمكن وصفه. أرسلت إليها رسائل قاسية بعد أن أقسمت ألا ترد عليها مرة أخرى. رأت رهف غضب ياسمين، فحاولت الاتصال بها، لكن ياسمين تجاهلتها نهائيًا وحظرتها إلى الأبد، ثم غيرت رقمها وانشغلت بحياتها الخاصة. أما رهف، فبقيت عالقة في ذكرياتها القديمة.

الروح والقبح

يسخر من الآخرين من يشعر بالنقص وانعدام الثقة بالنفس، فلا يعرف هل القبح انعكاس لما في داخله، أم أن لديه شكلاً قبيحًا يتوارى خلف جمال خارجي مزيف.

كانت زينب جالسة على الكرسي في أول يوم دراسي، وتعرفت على أصدقاء جدد في القاعة الواسعة. تعرفت على محمد عادل، شاب خجول طويل القامة، يعيش في حي شعبي، وقد نشأ مع عائلة متدينة جدًا؛ والده ذو لحية طويلة، ووالدته ربة منزل، وأخته منتقبة. ويدرس مع روان في نفس القسم بعد أن تعرف عليها وعلى مجموعة الشباب والفتيات. وفي وسط المحادثات الطريفة والمضحكة، سألها:

- هل تسمحين لي برقمك الخاص لنتحدث على تطبيق الواتساب؟

شعرت زينب بضيق من سؤاله المزعج، فكيف يطلب رقمها بهذه السرعة في أول لقاء؟ فقالت له بعد أن ابتسمت ابتسامة صفراء:

- لا مشكلة، يمكنك أن تأخذ رقمي من زميلتك روان.

وذات يوم، في إحدى الرحلات الجماعية، سافرت مع الأصدقاء إلى بورسعيد. كان يومًا رائعًا لم تنسه زينب، قضته على شاطئ البحر مع الفتيات من نفس الكلية. وكانت تحمل كاميرتها الخاصة، والتقطت صورًا جميلة للمكان. سألها محمد:

- هل يمكنك أن تصوريني بكاميرتك الخاصة من فضلك؟

تضايقت من وجود محمد، وظهر الارتباك على وجهها، وأُجبرت على الموافقة بعد أن نظرت إليه باشمئزاز:

- حسنًا.

ثم صورته أمام الشاطئ. كان يتباهى بتكبر بعد أن وقف مبتسمًا، وأخذ يقف في مواضع مختلفة من زوايا متعددة، دون أن يهتم بمعاناة زينب مع الكاميرا، وانشغل بالتفكير في نفسه وقال لها بعد أن ابتسم:

- يمكنكِ أن ترسلي الصور عبر تطبيق الفيسبوك.

فوافقت زينب بضيق، وظهرت على ملامحها ابتسامة صفراء. فأخذت تصور جلسة تصوير استمرت لساعات طويلة، وفجأة وجدت نفسها في مكان مظلم مع محمد في وضع صعب، بسبب قلة الناس حولهما، إذ كانا بمفردهما في مكان بعيد بعد الغروب. فأدركت أنها لا تستطيع تصويره بعيدًا عن مكان الأصدقاء المشتركين، فركضت نحو الفتيات الواقفات لتكون بجانبهن، كي تشعر بالأمان والسلامة. وبعد انتهاء اليوم، عادت إلى المنزل في وقت متأخر، وأرسلت الصور عبر رسائل بينها وبين محمد، بسبب استعجاله ورغبته الشديدة في الحصول على الصور. ولم تجد فرصة للراحة بسببه، فنفذت ما يرغب فيه محمد وهي تشعر بالضيق من تصرفاته. بدا محمد ضعيفًا مثل الآخرين في نظرها، وبعدها تجاهلت الرسائل التي أرسلها إليها. ومع مرور الوقت، تجمع الأصدقاء المشتركون خارج قاعة الدراسة، وكان محمد جالسًا على الكرسي، بينما كانت زينب واقفة أمام الحائط، وتجاهلت وجوده أمام الطلاب والطالبات، مما جعلها تشعر بالحرج.

فقال لها:

- ولكني أرسلتُ إليكِ رسائل، فلماذا لم تردي عليَّ؟

فكذبت عليه وأجابت بارتباك:

- لقد كنتُ منشغلة طوال الوقت، ولم أرَ أيَّة رسائل منك على الإطلاق.

أدرك محمد عدم رغبتها في التواصل معه، وتجاهلت زينب وجوده طوال الوقت بعد أن دخلت إلى قاعة الدراسة برفقة الأصدقاء. لم تعد تطيق وجوده على الإطلاق، وشعرت بالكراهية تجاه محمد، فهي لا تحب الرجال ولديها فوبيا منهم، ولا تثق بهم مطلقًا و لم تحب رجلاً يومًا، لكنها شعرت بالإعجاب بشاب مجهول وأحبته من طرف واحد، دون أن يعلم بحبها له، فقد أخفت حبها عنه، وكانت ترفض الارتباط بغيره إلى الأبد ومع مرور الأشهر، وفي حفل عيد ميلاد هذا الشاب المجهول الذي تحبه زينب، وهو يكبرها بسنوات، وصديق محمد عادل، ويدرس معه في نفس الكلية، كانت هناك تجمعات مشتركة في حديقة قريبة من الكلية. أُقيم حفل عيد ميلاد عابد بمساعدة أصدقائهم وزملائهم من الشباب والفتيات، فاتفقوا على عمل مفاجأة له يوم عيد ميلاده دون علمه. علمت زينب بإعدادهم للحفل بالصدفة، فأرادت أن تذهب معهم، واشترت له هدية صغيرة. بعدها ذهبت برفقتهم إلى الحديقة، وكانت جالسة بمفردها في الخيمة الخشبية بعيدًا عنهم، وسارت عبر الطريق الجانبي وصولاً إلى الحديقة القريبة من الكلية دون أن تعلم والدتها بالأمر سرًا. شاهدت الفتيات والشباب يلعبون ويتحدثون دونها.

وعندما جاء عابد، تفاجأ بأصدقائه المقربين داخل الحديقة يحتفلون بعيد ميلاده، وكان سعيدًا طوال الوقت بسبب حبهم له. كان عابد يتحدث ويضحك معهم، وفي الوقت نفسه، كان محمد عادل يتحدث مع صديق مقرب لعابد يُدعى عبد الله. حكى له نكتة مضحكة سمعتها زينب، فضحكت، وكانت تبدو قبيحة الشكل بسبب وزنها المفرط. هذا جعل محمد يسخر منها وقال لعبد الله بطريقة مضحكة:

- رأيتها تضحك وتبدو في شكلها القبيح مثل الكلبة، أليس كذلك؟

لم يرد عبد الله على كلامه المؤذي بعد أن نظر نحو زينب، التي ظهر على وجهها الاستياء. فنظر محمد عادل إليها وأكمل كلامه:

- أنا آسف بسبب زلة اللسان.
- لا، لا بأس، ولكنك مخطئ وجبان، ولا يمكن أن تكون جميلاً في داخلك يومًا. فأنت تبدو وسيمًا، لكن في داخلك قبح وحقد، وأنا لا أطيقك على الإطلاق، فأنت مستهتر وضعيف الشخصية.

كُسرت روحها بعدما تأكدت من سوء أخلاق محمد عادل. لم تندم على عدم التقرب منه مطلقًا بسبب إهانته لها، ولم تستطع المواجهة، فانسحبت إلى خارج الحديقة دون أن تخبر أحدًا بمغادرتها، لأنها تعرضت للتنمر...

فسارت نحو المنزل حتى وصلت إلى المباني، فجلست على سلالم خلف المبنى وبكت حتى تورمت عيناها من الألم. شعرت بعدم السعادة معهم لأول مرة، فقد أوجعها الكلام الجارح القاسي. ولأول مرة أيضًا، شعرت بالألم عندما لم يدافع عنها أحد أمام الجميع. لم يخطر ببالها أن يسخر منها أحد، فلا ذنب لها في شكلها القبيح على الإطلاق. كانت زينب فتاة متوسطة الجمال، نشأت في منزل مليء بالإهمال وقلة الاهتمام والانشغال والتجاهل. ولديها أخوات أكثر جمالاً يعتنين بأنفسهن وبجمالهن، ولا يهتممن بوجودها، فهي ليست مثلهن على الإطلاق. لهذا أصبحت سمينة بسبب حبها للأكل، ولم تفكر في خسارة الوزن بسبب أمها التي تجبرها على الاستمرار في الأكل. لم تعرف كيفية وضع مكياجها الجمالي، وأهملت بشرتها، ولم يعلمها أحد من الفتيات كيفية استخدام أدوات التجميل وتنسيق الأزياء الأنيقة، فهي لم تشبه الفتيات الجميلات يومًا. وإذا بشاب مجهول يظل يمشي في الحي وهو يمسك بحبل طوق حيوان أليف. عندما نبح الكلب الذي حول رقبته، بدا وكأن الطبيعة تعذبها وتجعلها تتذكر ذلك الموقف أكثر بكثير من الوقت الحالي، دون شك. نظر الشاب نحو زينب الجالسة على السلالم، فتجنبت النظر إليه وتألمت أكثر.

عادت إلى المنزل ولم تعد تتحدث أو تتواصل مع محمد أبدًا. وفي كل مرة تراه، تتجاهل وجوده على الإطلاق، فهو جبان وجاهل مليء بالعيوب، لا يرى الجمال الداخلي، بل الجمال الخارجي الذي يعمي عينيه. وذات ليلة، نظرت زينب في المرآة، فرأت جمالها الداخلي يضيء أكثر ويشع من روحها الجميلة. تمسكت بجمالها الداخلي أكثر بكثير، وأخفت جمالها الخاص الذي لا يراه أحد سواها. تجملت بمكياج بسيط، فشعرت أنها جميلة في روحها. ونظرت في المرآة، تحدثت إلى نفسها وقالت لها إنها قادرة على التغلب على القبح بعد أن برزت روحها من العيوب الخارجية. أصبحت واثقة بنفسها، قوية من داخلها، تعرف أن الكلاب تتصف بالوفاء والرحمة أكثر من البشر الذين لا يعرفون الرحمة. تعلمت معنى حب الذات والثقة بالنفس، ولأول مرة أصبحت تحب نفسها.

السخرية في المدرسة

يميل البشر أيْضًا إلى اَلعُثور على المجْتمع لِيكون مُمْتِعا ، وضمْن حُدُود العلاقات المجْتمعيَّة ، يَتِم دائمًا التَّحَدُّث بِالْكلمات – غالبًا مَا تكُون سَاخِرة وتنْتَقص مِن قَدْر الذَّات – وَالتِي تَأخُذ مَعانِي أُخرَى عِنْدمَا يَنطِق بِهَا الآخرون

تاء - نَهيسِي كُوَاتس

أحمد طالب اجتماعي هادئ، بسيط، وعلى طبيعته، يرتدي الزي المدرسي الأبيض. كان نحيفًا ومبتسمًا ومحبوبًا من الجميع، ملامحه شرقية، شعره أسود، وعيناه شديدتا السواد. يعاني من مرض الصمم والبكم، ويعيش في حي الجيزة. وهو ماهر وموهوب، مبدع في الرسم، وقد اعتاد أن يذهب إلى المدرسة مبكرًا رغم بُعد سكنه عن مدرسته. كان لديه مشكلة في الحنجرة منعته من الكلام، وقد حُرم من السمع إلى الأبد، لكنه يجيد التواصل مع زملائه في المدرسة بلغة الإشارة. لفتت نظره أميرة خالد، التي كانت ملامحها صامتة، وتبدو نحيفة وبسيطة. كانت زميلته، وتدرس معه في نفس الفصل منذ المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الثانوية. وقد اعتادت أن تبادله التحية والسلام في كل مرة تراه. وذات يوم، في المرحلة الإعدادية، انتبهت أميرة إلى أن أحمد صلاح ظل ينظر إليها طوال اليوم في الفصل، وأزاح نظرته حينما كادت تكشف نظراته إليها، بسبب خجله، لأنه معجب بها ولا يستطيع أن يعترف لها بإعجابه. لكنها انتبهت إلى أنه ظل ينظر إليها دون أن تعلم في البداية، وفهمت أن هذه النظرة إحدى علامات الحب، بسبب هوسها بالأفلام الرومانسية، فهي خبيرة في لغات الحب رغم أنها لم تدخل في علاقة حقيقية مطلقًا.

وفي ذلك الموقف المحرج، كانت أميرة متوترة ومرتبكة ومحتارة للغاية، لأنها لم يخطر ببالها أن أحمد خائف بسبب رغبته في الارتباط بها، وما زال يريد أن يدخل في علاقة معها. ثم نظرت نحو أحمد وأصدقائه داخل الفصل، وراقبت همساتهم له، فهم يشجعونه على الارتباط بها. شعرت بالخوف حينما فكرت في كيفية معرفتهم، وشكت أن أحمد أخبرهم بإعجابه بها، وقد حاولوا أن يجعلوه يرتبط بها عن طريق الزميل المقرب المشترك بينهما، الذي يحاول أن يجمعهما ويسعى لجعل أميرة منبهرة بشخصية أحمد وشعرت أميرة بالحرج بسبب صديقه الذي أخبرها بقلق أحمد وخوفه من أن تكون معجبة بشخص آخر، وأن حبه لها من طرف واحد دون أن يعلم أحد بسرها الخاص. فإذا لم تستطع أن توافق على الارتباط به، فهي لا تحبه يومًا، إذ اعتبرته مثل صديقها وزميلها في المدرسة فقط. فقد اعتادت أن تعتبر زملاءها الرجال بمثابة إخوة، فهي لا تستطيع أن تخون ثقة عائلتها بها، ولا يمكنها الدخول في علاقة دون علمهم، خوفًا على سمعتها في العصر الحالي، حيث لم يتوقف البعض عن التلاعب واستغلال حياة الفتيات بحجة خلق الحب ونزلت أميرة على السلالم بعد أن أخبرت صديقتها المقربة بموضوع إعجاب أحمد بها، فاندهشت صديقتها ولم تصدق ما قالته أميرة عنه، لأنها لم تتوقع تصرفات أحمد، وأنه يتردد في الاعتراف برغبته في الارتباط بها خوفًا من رفضها، وكاد أن يعترف بإعجابه بها أمامها لولا أن أميرة قالت إنه ليس بإمكانها أن تدخل في علاقة مع أحد. استغلت أميرة وجوده وتحدثت مع زميلاتها في إحدى المحادثات بينهن، فقالت إنها لا تستطيع أن ترتبط بأحد ولا ترغب في الدخول في علاقة مع أحد وبعدما فهم أحمد كلامها، أدرك عدم رغبتها في الدخول في العلاقات. كانت مجبرة على فعل ذلك، فهي لا تستطيع أن تحرج أحمد أو تواجهه على الإطلاق، إذ تعتبره بمثابة أخيها وزميلها. فاكتشف أحمد، بعد أن أصبح مصدومًا ومندهشًا للغاية، أن أميرة تعترض على الارتباط به، فأصبح عالقًا في خانة الصديق. وبعد مرور أيام الدراسة...

كانت أميرة جالسة على الكرسي أمام الفصل، شاردة الذهن وصامتة بنفس طبيعتها الهادئة، لكنها تبدو مرهقة ومتعبة بسبب إدمانها على السهر كل ليلة. فتحرك رأسها المهترئ بحركات لا إرادية فجأة، لأنها لم تستطع النوم بسبب الأرق والتفكير الزائد، إذ ظلت تشاهد الأفلام والمسلسلات. وعندما انتبه أحمد فجأة إلى حركة رأسها المهترئ، لاحظ أنها أصيبت بحركات لا إرادية في الرأس دون أن تعرف أن أحمد يراقبها، فقد كان جالسًا على الكرسي خلفها. وبعد انتهاء الحصة، أثناء فترة الاستراحة في الدوام الدراسي، أخبر أصدقاءه بموضوع أميرة وحركة رأسها المهتزة الغريبة والمخيفة. وبعد أن تناولت الغداء في فترة الاستراحة، لاحظت أنهم يراقبونها بسبب أحمد الذي قال لهم دون مراعاة شعورها. فصُدمت منهم عندما سخروا منها وضحكوا أمام الطلاب والطالبات دون أن يراعوا مشاعرها، فتعرضت للتنمر والسخرية منهم. أصبحت صامتة وعابسة، لأنها لم تستطع أن تدافع عن نفسها أمامهم، فتجاهلتهم بكل بساطة وأكملت غداءها بصمت. شعرت بالراحة لأنها اتخذت قرارها الصحيح بألا ترتبط بأحمد، بعدما تأكدت من اختيارها الصحيح للمستقبل دون أن ترتكب خطأ، فهي لم ترتبط بأحد على الإطلاق. عندما كسر أحمد علاقتهما، أفقدها الثقة والأمان دون أن يفكر بمشاعر أميرة وحزنها وألمها، فقد كسر روحها الطيبة البريئة.

مضت الأيام، وبمرور الوقت، بدأت أميرة تدخل في الاكتئاب، ولم تدافع عن نفسها أمام أحد، فهي لا تعرف كيف تصبح قوية وقاسية يومًا. كانت بريئة وصغيرة لدرجة أنها خافت من المواجهة أمام الطلاب والطالبات، فابتعدت عن أحمد وتجاهلت وجوده. ظلت صابرة، وأصبحت باردة المشاعر بعد المرحلة الثانوية، ولم تستطع منع إعجابه بها. مضت الأيام والأسابيع بهذه السرعة، فأصبحا مثل زملاء الفصل دون أحاديث تُذكر بينهما إلا نادرًا، ولم يكن بينهما أي تواصل. وبعد انتهاء المرحلة الثانوية، التحق كل منهما بكلية مختلفة، ولم يلتقيا بعدها.

لم تعد أميرة تتذكر الماضي منذ التحقت بهذه الكلية. تغيرت لأنها تصالحت مع نفسها، وأصبحت تحب ذاتها، وفتحت صفحة جديدة في حياتها. أصبحت قوية واجتماعية، قادرة على التخلص من ماضيها المؤلم، فلم تعد أميرة القديمة الحزينة الضعيفة المنطوية، بل تحولت إلى شخصية جديدة ذات روح صلبة وقوية وسعيدة بنفسها، بعد أن غيرت حياتها المملة إلى حياة جديدة. لكنها لم تضع مكياجها، ولم تغير طريقة لباسها، فظلت فتاة عادية وبسيطة. على الجانب الآخر، كان أحمد طالبًا تطورت موهبته في الرسم في كلية التربية الفنية، ثم وقع في حب زميلته مريم وارتبط بها. كانت مريم زميلته في نفس القسم، ولم يعد كما كان في السابق، فأصبح ناجحًا في الرسم بعد أن شارك في المعرض الفني عدة مرات مع أصدقائه. وبعد مرور سنتين، قابلت أميرة أحمد مرة أخرى بعد وقت طويل في ميدان التحرير، في أحد الكورسات التعليمية. من داخل باب مركز تعليمي، ظهر أحمد صلاح مبتسمًا، ووجهه يعبر عن الشوق. ما زال يحتفظ بنفس المظهر الخارجي ولم يتغير كما كان في الماضي، فما زال وسيمًا. ألقى التحية عليهم بعد أن لوّح بيديه فوق ذراعيه، وبدا مندهشًا ومتفاجئًا لأنه قابل أميرة للمرة الأولى بعد وقت طويل. ثم ابتسم فور أن أكمل التحية عليها، وتبادلا التحية والسلام. بدت أميرة متفاجئة بعد أن شعرت بالتوتر والقلق، لأنها مندهشة من وجود أحمد معها.

للمرة الأولى خارج المدرسة القديمة، ولم تتخيل على الإطلاق أن تصاب بالصدمة من وجوده، لأنها شعرت بالارتباك. فقد تذكرت ذكرياتها المؤلمة فور أن رأت أحمد، لكنها لم تعد تشعر بالحزن والضعف كلما رأته لأول مرة، إذ أصبحت قوية وقاسية، تعلمت تقبل عيوبها بنفسها بفضل أحمد الذي فتح عينيها على عيوبها قبل مميزاتها دون أن تعلم أساسًا. ثم تخرج أحمد من كلية التربية الفنية بعد أربع سنوات، وبدأ العمل في شركة بعيدة عن مجاله الفني بعد تخرجه من الكلية، وخطب حبيبته مريم بعد أن أصبح يعتمد على نفسه. أما أميرة، فقد مضت حياتها نحو الأمام، ونست الماضي المؤلم، وانشغلت بنفسها، ولم تعد تتذكره على الإطلاق بعد أن تقبلت الماضي المليء بالألم والقسوة. فتعلمت أن تصبح قوية مع مرور الوقت، وودعت الماضي، وتسامحت مع نفسها، واستمرت تمضي نحو الأمام دون أن تنظر إلى الخلف يومًا.

الحب غير متبادل

الحبُ ليسَ حقيقيٌ على كلِ قلبِ الذي يقعُ في سردابِ الأحلامِ كالوهمِ في الخيالِ وإنْ استيقظَ في وقتٍ متأخرٍ ... طرفٌ واحدٌ الذي أخطأَ في الوهمِ لنْ يتكررَ مرتينِ فسيظلُ القلبُ مغلقا والى الحرمانِ منْ الحبِ والوحدةِ الشديدةِ بلا رفقةٍ في تلكَ الحياةِ البائسةِ وإلى الأبدِ

كانت نانسي طالبة في الصف الأول الإعدادي في مدرسة التربية الخاصة. ذات مرة، عندما كانت تأخذ استراحة بعد الدوام الدراسي، نزلت على السلالم إلى القاعة الواسعة، ورأت عبد الرحمن، طالبًا في الصف الثالث الإعدادي، كان واقفًا يتحدث ويطلق النكات مع أصدقائه. شعرت بالفضول عندما رأته لأول مرة، فاتجهت نحوه برفقة صديقاتها من نفس الصف، ووقفت بجانب مجموعة الأصدقاء المشتركين الذين يستمعون إليه. كان عبد الرحمن محبوبًا من الجميع، قويًا وذكيًا، لكنه ليس صادقًا ومليئًا بالعيوب. يعيش في حي شبرا الخيمة، ولديه خمس أخوات. يختلق النكات بشكل جيد للغاية، لدرجة تجعل الجميع يضحكون، حتى الأساتذة في الفصول ومدير المدرسة. كان يعامل الجميع بلطف، وكان مختلفًا عن باقي الفتيان، فهو اجتماعي وماهر في إخفاء مشاعره ببراعة أمام الجميع. شعرت نانسي بالاهتمام به لأنها ضحكت بسببه بعد وقت طويل من التعاسة، وتحولت ابتسامتها الخالية من الروح إلى ضحكة عالية لأول مرة. وبعد انتهاء الدوام الدراسي، كانت نانسي جالسة في المقعد الخلفي في التاكسي مع سائقها ومعلمها في نفس الوقت. كانت شاردة، وضحكت بعد أن تذكرت نكاته، وظلت على وجهها ابتسامة مشرقة للمرة الأولى. لم يخطر ببالها على الإطلاق أنها وقعت في حبه دون أن يعلم الطرف الثاني، ولم ينتبه حتى لوجودها. احتفظت نانسي بأسرارها ولم تخبر أحدًا بحبها السري المدفون. سرحت بأفكارها وهي في طريق العودة إلى منزلها، وانتبهت بعد أن توقفت السيارة أمام منزلها. انزعجت من سائقها الذي ظل ينظر نحوها بنظرة غريبة، فشعرت نانسي بالخوف والقلق من أسلوبه وتصرفاته المريبة، فقد كاد أن يتحرش بها. فأسرعت إلى منزلها، وصعدت إلى غرفتها الخاصة في الدور الثالث، واستلقت على سريرها، ونظرت إلى السقف، وسرحت في الطالب الذي جعلها تضحك. تخيلت أصدقاءهم المشتركين حتى أصبحت مهووسة به، وفي كل ليلة تراه في أحلام رومانسية جميلة ورائعة.

لكن الواقع المرير أنها أصبحت بمثابة الأخت والصديقة فقط بالنسبة له. كانت نانسي جميلة ومحبوبة من جميع الطلاب والطالبات، لكنها كانت تكذب وتختلق الأعذار بسبب ظروفها الصعبة.

كانت نانسي فقيرة، تعيش في حي شعبي قريب من مدرستها. ارتبط عبد الرحمن بنادين، التي كانت في الصف السادس الابتدائي، وأصبحا حبيبين علنًا أمام الطلاب. انتقل عبد الرحمن من مدرسته القديمة إلى المدرسة الحالية التي تدرس فيها نانسي ونادين. مضت الأيام الجميلة المليئة بالضحك والجنون والمزاح أمام أصدقائهم المشتركين، وأصبحت نانسي معتادة على رؤيته مع نادين. شعرت بالغيرة منها لأنها امتلكت قلب عبد الرحمن، ولم تستطع أن توقف قلبها عن النبض بالألم. توقعت أن عبد الرحمن ونادين سيتزوجان في المستقبل، فحاولت أن تصبر نفسها وتتجاهل شعور الألم والقسوة تجاهها. وفي يوم، أثناء أحاديثهم عن ذكريات الطفولة، عرض عبد الرحمن فيديو لحفل في الحضانة، واتضح أنه التحق بنفس الحضانة التي كانت بها نانسي. ظهرت في الفيديو طفلة جميلة ترقص مع والدها، وقعت في حب عبد الرحمن لأول مرة دون أن يعلم بحبها له. نظرت نحوه، وظنت أن القدر جمعها به في نفس الحضانة حتى المدرسة. كما يُقال إن العشق في الطفولة هو أجمل حب في الحياة. بدت مندهشة، وأخبرته برغبتها في مشاهدة الفيديو، فوافق عبد الرحمن بعد أن انتبه إلى أنها موجودة في الفيديو معه في نفس الحضانة، وطلب منها أن تعطيه فلاشة لينقل لها الفيديو عليها. فوافقت نانسي، التي كانت متشوقة لمشاهدة الفيديو لعلها تستعيد ذكريات طفولتها، وأعطته الفلاشة الخاصة بها. نقل لها الفيديو، وعندما ذهبت إلى منزلها، ركضت إلى غرفة الصالة، فهي لا تطيق الانتظار لرغبتها في مشاهدة الفيديو. جلست على الكرسي أمام جهازها، ووضعت الفلاشة لتشاهد الفيديو على الكمبيوتر. كانت هي الطفلة الصغيرة التي بدت سعيدة ورقصت مع عبد الرحمن في الحضانة، ثم التقت به في نفس المدرسة بالصدفة. بدت مندهشة، فهي لم تتخيل أن يحدث ذلك أبدًا. ذات مرة، حدثت مشكلة بينها وبين والدها، فجلست على الرصيف خلف المدرسة، وكانت تنظر إلى اللا شيء، وشردت في مشكلة والدها. فجأة، وجدت عبد الرحمن يجلس بجانبها في يوم مشمس، وسألها بعد أن نظر نحوها:

- لماذا تجلسين بمفردك وحزينة طوال الوقت؟
- لا أعرف، ولكني أحب أن أظل وحيدة.

وتبادلا الحديث معًا، لكنها لم تجرؤ على أن تعترف بحبها له. اعتادت أن تظل هادئة وصامتة أمام الطلاب في الماضي، لكنها أصبحت اجتماعية ومحبوبة من الجميع. بدأت تقلد المشاهير في الأفلام والمسلسلات بحركاتهم، وحتى المعلمين والأساتذة في المدرسة. حاولت أن تظهر حركاتها وتبدع بحركات مضحكة ممزوجة بتعبيرات الوجه ولغة الجسد أمامهم، وكأنها في مسرح أمام الجمهور، فتجعلهم يضحكون ويصفقون لها. كانت تجيد التقليد والتمثيل وخلق النكات التي تعلمتها من مشاهدة الأفلام الهندية والتركية والأمريكية، حتى أصبح الجميع يحبونها بسبب موهبتها في التمثيل والتقليد. انتشر بين الطلاب خبر انفصال عبد الرحمن ونادين، وأن ما كان بينهما لم يكن سوى تسلية في مرحلة المراهقة المبكرة، حتى تحولت علاقتهما إلى صداقة. ومع مرور الوقت، بدأت العلاقة تتوثق بين نانسي وعبد الرحمن. في أول أيام العلاقة، كانت نانسي متحمسة لأول مرة، إذ غازلها عبد الرحمن علنًا أمام الطلاب في المدرسة. لكنه لم يبادلها الحب يومًا، فهو يتسلى بها فقط دون مشاعر. وقعت نانسي في الفخ دون أن تعرف، لكن علاقتهما لم تستمر سوى أيام قليلة وانفصلا، رغم أنها ما زالت تحبه.

أنهى عبد الرحمن دراسته الثانوية في نفس المدرسة، ليبدأ الدراسة في الكلية بقسم التربية الفنية، بينما كانت نانسي ما زالت تدرس في المرحلة الثانوية، ولم تعد تراه، لكنها ظلت تحبه. كانت تتحدث معه عبر حسابها في موقع الفيسبوك، لكنها أغلقت حسابها بعد أن انتقلت إلى الصف الثالث الثانوي لتركز على دراستها. هذا ما جعل عبد الرحمن يظن أنها حظرته، ولم يسأل عنها، وأساء الظن بها دون أن يفهم. انقطعت الصلة بينهما، ولم يتحدثا طوال السنة.

وبعد مرور السنة، تخرجت نانسي والتحقت بنفس الكلية التي يدرس بها عبد الرحمن، دون أن تتعمد ذلك لتكون بجانبه أبدًا. في أول أيام الدراسة، كانت نانسي سعيدة ومتوترة في الوقت نفسه، ووجدت عبد الرحمن يجلس بجانب أصدقائه. حين نظر نحوها، تجاهل وجودها، ولم تفهم نانسي سبب تصرفاته الباردة. لكنها اكتشفت عن طريق زميلتهما المشتركة أن عبد الرحمن أخبرها بحظر نانسي له على مواقع التواصل الاجتماعي. هنا، فهمت سبب تجاهله لوجودها، وهو أنه أساء الظن بها، ولم تستطع توضيح موقفها. في كل مرة ترى عبد الرحمن يتحدث مع الطالبات، كانت تشعر بالغيرة. ومع مرور الوقت، اكتشفت أن عبد الرحمن زير نساء، وليس محترمًا على الإطلاق، ولم يعد كما كان في السابق. لم يكن الشخص الأفضل، لكنها وقعت في حبه منذ تسع سنوات من طرف واحد. اضطرت نانسي أن تدوس على قلبها، وظلت تجاهد نفسها وتبتعد عنه حفاظًا على صحتها النفسية. ومع مرور الوقت، تخلت عن حبه، وأغلقت قلبها إلى الأبد، فلن تستطيع أن تفتحه لأحد مرة أخرى. وبعد مرور شهور، قابلت عبد الرحمن بالصدفة في أحد المراكز التعليمية لأجل كورس تعليمي، لكنها أصبحت باردة المشاعر وقوية، إذ تجاهلت وجوده طوال الوقت، ولم تبال به. لم تعد كما كانت في السابق، فقد أصبحت شخصية قوية وصلبة. علمت من موقع للتواصل الاجتماعي أن عبد الرحمن خطب، فشعرت نانسي بالسعادة والرضا، وتوقفت عن حبه، وتخلصت منه، ومحت وجوده من حياتها إلى الأبد. تعلمت أن تحب نفسها وتكون قوية، وقررت المضي قدمًا إلى الأمام دون أن تنظر إلى الخلف.

مجرد الإعجاب حيث لا يولد الحب

نحنُ نحبُ دائما أولئكَ الذينَ يعجبونَ بنا ، لكننا لا نحبُ دائما أولئكَ الذينَ نعجبُ بهمْ

فرانسوا دي لاروشفوكولدْ

الإعجاب يولد من أول نظرة في بدايات مرحلة الشباب، ولكن مع مرور الوقت يتلاشى الإعجاب ويختفي شيئًا فشيئًا بعد مرحلة الإدراك، والمرء لا يحب بالقلب والعقل فقط، بل بالقلب مع الثقة بالنفس والأمان والسعادة الدائمة، حيث ينمو الحب مع التعود. في أول يوم دراسي، لم يخطر على بال الفتاة الجميلة الذكية والطموحة، مع ظهور بوابة الكلية المليئة بالممر الطويل الواسع أمام المبنى الكبير الرئيسي بالأقسام المختلفة، بوجود الطلاب والطالبات، أن تدخل ندى خالد من داخل الصالة، وكانت ممسكة بكتاب بعد أن ربطت ذراعيها بإحكام، وكانت تبدو جميلة وبدت ملامحها واضحة، ثم ابتسمت ابتسامة مشرقة بعد أن ارتدت فستانًا ورديًا بشكل الفواكه الملونة، فجلست على الكرسي وسارت إلى قاعة الكلية، وكانت متحمسة للغاية، وقد غيرت حياتها القديمة إلى الجديدة، حيث لم يسبق لها أن خاضت تجربة بهذه الحياة المختلفة، وكأنها دخلت في عالمها الجديد، لدرجة أن صفحتها الفارغة بدأت تمتلئ بالأيام الجديدة، وكأن كل شيء يبدو جديدًا بجانب الشجرة التي تسطع الشمس على أرض القاعة الواسعة وقاعات المحاضرات المليئة بالازدحام بوجود مئات الطلاب والطالبات. ومع ظهور أصدقائها القدامى ووجود أشخاص جدد، تعرفت على مجموعة من الطلاب والطالبات في دفعة سنتها الأولى بعد أن تخرجت من مدرستها القديمة. وعند دخولها إلى الممر في داخل القاعة الواسعة، ظهر الشاب برفقة والدته التي كانت متحمسة بسبب ابنها الكبير، فوضعت ذراعيه بين يديها فجأة، فسألت إحدى الأصدقاء في المجموعة الجديدة التي كانت ندى موجودة معهم، فأعجبت والدته بندى التي كانت مشرقة وجميلة للغاية، حيث تجعلك تقع في حبها دون سبب، فتعرفت عليهم من أجل ابنها الكبير الذي ظل يراقب ندى، وكانت ندى متوترة لأنها وجدت الشاب الجديد في نفس دفعتهما ومن نفس ظروفها. ثم تعرفت على طالب يبدو سمينًا ذي بشرة داكنة، على ملامحه ابتسامة ضيقة، فألقت التحية عليه فتبادلها التحية أمام المجموعة المشتركة، فاكتشفت أن اسمه محمد، وكان يبتسم أمامها. وعندما كان محمد هشام، الطالب الذكي الذي يرتدي ملابس مخططة باللون الأحمر معظم الأحيان، لأن لديه مهارات يستخدمها في أعمال

الكمبيوتر ويمكنه أن يصلح الإلكترونيات بعد العطل، وقعت ندى في إعجاب محمد هشام بسبب ذكائه الاجتماعي وقوته المختلفة، لأنه طموح للغاية، لهذا أصبحت منبهرة، فأصبحت تسأل عنه أمام الأصدقاء باستمرار عن أعمال الكلية، فساعدها في دراستها.

لاحظ الجميع وجودهما معًا في معظم الأوقات، ومع مرور الوقت انتشرت الإشاعة بينهما، فأصبح الجميع يظنهما حبيبين بسبب ظهورهما معًا في أوقات كثيرة، وأصبحت ندى حديث الطلاب وسط الكلام والنميمة والغيبة عن علاقتهما، بعد أن ظهرت معه طوال الوقت، فأصبحت منزعجة ومتضايقة لأنهم سألوها عن محمد هشام، وعما إذا كان بينهما علاقة ارتباط داخل الكلية، فأجابتهم أنه ليس لديها علاقة بمحمد هشام سوى مجرد علاقة زمالة داخل الكلية. عندها أصبح غاضبًا ومتوترًا بعد أن انتشرت الإشاعات عن العلاقة بينه وبين ندى، فشعر محمد هشام بالحرج وابتعد عنها في تلك الفترة الحالية، فلم يعد يتحدث معها أو يراها مرة أخرى خوفًا من كلام الناس. ومع مرور الوقت، ابتعدا عن بعضهما بسبب الجميع الذين لاحظوا أن ندى كانت متضايقة منهم، فتجاهلت الإشاعات، بينما هو لم يستطع مواجهتها، فأصبح متضايقًا وغاضبًا من إشاعات غير حقيقية وتافهة، لأن ندى حاولت التقرب منه، ولكنها لم تفعل شيئًا سوى سؤاله عن المهام والتقارير ومعرفة المواد والتعاون والمساعدة فيما يتعلق بدراسة الكلية فقط، بسبب مهارته الشخصية، فلا توجد علاقة ارتباط بينهما على الإطلاق، وهي تعتبره زميلها في الدراسة فقط، ولا يمكنها أن تقع في حبه أبدًا، فهي لم تحبه يومًا، بل وقعت في إعجاب محمد هشام بسبب شخصيته الغريبة وذكائه المثير للدهشة الممزوج بالغموض والأسرار في حياته الخاصة، وباختلاف الآراء في مناقشته بينه وبينهم في الحديث، وأنه ليس رجلاً ولديه ضعف وغباء في شخصيته المخيفة، وهو جبان، فما زال يهرب من مواجهة الناس. ومع مرور الوقت، أصبح سيئًا، ينتقد الآخرين بأسلوب قاسٍ، ويعرف كيف يجعل نفسه يتفوق على الآخرين، فهو مغرور ومتكبر. وكان محمد هشام جالسًا أمامها وهو يراقب دون أن تلاحظ نظراته بهذه الطريقة المختلفة من خلف ظهرها، فقد ظل ينظر نحو ندى التي كانت شاردة في المحاضرات طوال الوقت بطريقة غريبة، لأنه معجب بها بسبب روحها الطيبة وذكائها المبهر وابتسامتها الجميلة، فما زال يلمح لها بالارتباط كل هذا الوقت. وعندما فهمت ندى تلميحات محمد هشام وأنه يريد أن يدخل معها في علاقة ارتباط، وتحدث عن موضوع زواجه منها، ابتعدت عنه ورفضت بشكل نهائي، فهي لا تريد أن ترتبط به، ولا تستطيع أن تشعر بالراحة النفسية والانسجام والتفاهم معه.

هو مجرد زميل دراسة بالنسبة إليها، كما تأكدت أن محمد هشام يصعب التعامل معه بالفعل بسبب أخطائه الكبيرة مع الآخرين، ولا يسهل التفاهم معه، إذ يجعل الآخرين يشعرون بالحرج منه، وهو يختلق الأعذار ويكذب في وسط المحادثة، فلا يحب أن يقاطعه أحد أثناء حديثه في منتصف المناقشة أمام الطلاب والطالبات. عندما كانت ندى تراقبه، أصبحت تكرهه، فقد تدخل محمد هشام في طريقة ملابسها وتحكم بها، فلم تستطع أن تثق به، وخافت أن يؤذيها. كانت ندى متضايقة منه بسبب تصرفاته الأنانية والمتكبرة، فكرهته بعد أن تغيرت شخصيتها المحتشمة إلى شخصية مقيدة بسبب تحكمه في مظهرها الخارجي، فما زال يأمرها بعدم القيام بهذه الأمور، وشعر بالغيرة منها، وقع في حبها، وراقبها بقية الوقت، فشعرت بالانزعاج منه ولم تعد تحتمل، فما زال يجادل الآخرين في الأمور، لهذا تجاهلته باستمرار، فلم تعد تتواصل معه وحافظت على الابتعاد عنه بطريقة نهائية.

وبعد مرور الأشهر الماضية، سارت ندى إلى قاعة الكلية بعد أن أنهت المحاضرة، فقابلت والدته التي ظهرت برفقة ابنها الكبير محمد هشام في الكلية وسط أصدقائهما المشتركين، فصافحتها بعد أن ألقت التحية عليها، وحاولت أن تتعرف إليها لأنها أعجبت والدته بعد أن أخبرها أنه وقع في حبها. عندها، كانت ندى متوترة ومرتبكة للغاية، لأنها شكت به، وكانت والدته واضحة للغاية، تبتسم بطريقة مبالغ فيها بلا حدود، ثم ابتسمت أمامها وتبادلتا المصافحة، وكانت واقفة أمامها احترامًا للكبار. حاول محمد هشام أن يلاحقها ويتواصل معها عدة مرات لأول مرة بعد أن توقفت الإشاعات غير الحقيقية عنهما، لهذا تعلق بها وقع في حبها ولم يستطع أن يتجاهلها، فهي ذكية وطموحة. لكن ندى أصبحت متضايقة من وجوده المزعج بعد أن تعاملت معه بمعاملة سطحية أمامه، لهذا تجاهلته باستمرار. ثم حضر محمد هشام على البريد الإلكتروني وفي الرسائل الإلكترونية، وخصوصًا في مواقع التواصل الاجتماعي، ولكن محمد هشام كان ذكيًا للغاية، فحاول فك الحظر منها على البريد، ثم حاول أن يرسل رسائل إليها عبر البريد الإلكتروني، لأنه يرغب في التواصل معها بعد أن حظرته على مواقع التواصل الاجتماعي، ما عدا البريد الإلكتروني.

ثم بدت المفاجأة حين وجدت بريدًا إلكترونيًا يحمل رسالة من محمد هشام، فشعرت بالخوف ولم ترغب في التحدث إليه على الإطلاق، لأنها علمت أن محمد هشام ماهر في استخدام الإنترنت. فقررت أن تحذف البريد الإلكتروني نهائيًا لتبتعد عنه دون أن تكلمه، فلا تقترب منه أبدًا، لأنه مجرد شاب جبان وضعيف لا يستطيع أن يواجهها. ولاحظت نظرته المخيفة وتفحّصه لملابسها، فتجاهلت وجوده وتظاهرت بالقوة وبأنها باردة المشاعر بسبب حريتها الخاصة. ومع مرور الوقت، لم تعد ندى كما كانت في السابق، وأصبحت تبتعد عن زميلاتها في الدراسة بنفس القسم.

كان محمد هشام الابن الأكبر، ويعيش في حي المطرية مع عائلته الميسورة الحال. والدته ربة منزل، وأخوه الصغير أحمد كان يدرس في كلية تجارة حلوان ويعمل في متجر للهواتف المحمولة بالقرب من منزله. كان أحمد مقربًا من والده لأنه يعتبره بمثابة صديقه الكبير، على عكس أخيه الأكبر محمد هشام الذي لم يعامله أحمد بحب يومًا بسبب اختلاف الرأي والشخصية. كان محمد هشام وحيدًا وغير ناضج إلى حد ما وسط أجواء عائلية، ولم يكن صادقًا، إذ كان يشعر بالغيرة من الآخرين حوله باستمرار. كان غريب الأطوار ومجنونًا، ليس كباقي الفتيان، ولديه أفكار غريبة جدًا. كان يعتمد على نفسه في أعمال الكمبيوتر بمفرده في المنزل، وقد تعلم ذلك في سن مبكرة. كان مقربًا من والدته التي كانت متعلقة به، لكنه لم يكن مقربًا من والده يومًا، لأن علاقته بوالده لم تكن جيدة على الإطلاق بسبب عدم فهم والده له.

وفي السنة الثالثة، كانت ندى جالسة، وكان هو واقفًا. حاول أن يتحدث إليها، ثم طلب محمد هشام الزواج منها بطريقة غير مباشرة ولمح لها بذلك، فرفضت طلبه في سرها وتجاهلت تلميحه دون أن يعلم بعدم رغبتها في الزواج منه. كما اكتشفت مؤخرًا من زميلتها مريم أنها هي من جعلته يرغب في الزواج منها، إذ بدا ذلك صادمًا. علمت من أحدهم الذي أخبرها بموضوع زميلتها مريم، لأن لديه إصرارًا ورغبة قوية في الزواج. وكادت أن توافق لولا عنادها، إذ تأكد من عنادها وإصرارها على الرفض دون قبول، فلم تطق وجوده أبدًا دون أن يعلم بمشاعرها. وكرهت محمد هشام ومريم، إذ اعتقدت أنهما يتحدثان من وراء ظهرها دون علمها، فصُدمت منهما لأنها لم تتخيل أن زميلتها ستحرض محمد ليجبرها على الزواج منها دون رغبتها أصلاً. لكن فات الأوان حين لم تعد ندى تشعر بشيء تجاه محمد، بعد أن سألها عن الذهاب معه في مجموعة إلى نزهة في أحد المولات التجارية المشهورة.

فرفضت قائلة إنها لا ترغب في الذهاب معه. فقد توقفت عن الخروج مع أصدقائها بشكل نهائي، ولم تعد قادرة على تحمل جماعة النفاق والنميمة والغيبة منهم. أصبحت سيئة في أعين الآخرين، ولم تعد تلتقي بهم أو تتواصل معهم مرة أخرى على الإطلاق.

عندما تخرَّج، لم يتمكن محمد هشام من إيجاد ندى للمرة الأخيرة، إذ اختفت وسط مجموعة الزملاء المشتركين وتركتهم إلى الأبد، ولم تظهر معهم مرة أخرى. قطعت التواصل معهم، وسعت إلى تجنب وجودهم بعد أن ابتعدت عنهم. وما زال هو يبحث عن عمل باستمرار بعد تخرجه، ولم ينسَ ندى يومًا، فقد ظل يفكر فيها طوال الوقت.

أما ندى خالد، فتعيش في حي فقير مع عائلتها البسيطة المكونة من والدها، وهو شيف ماهر في الطبخ يعمل في المطاعم، ووالدتها ربة منزل، وأخيها الصغير يوسف. كانت فتاة عادية وخفيفة الدم ومختلفة، ليست كباقي الفتيات، لأنها محترمة ومحتشمة للغاية في بيئتها الصغيرة الضيقة. كانت مقربة من أقارب والديها لأنها وحيدة وعاطلة عن العمل، وتساعد والدتها في أعمال المنزل كالمعتاد. أصبحت ترضى بقدرها، فقد تقبلت هذه الحياة البسيطة لأنها تعتمد على نفسها في المنزل، وتحب مساعدة جميع الأحباء والأشخاص. لذا أصبحت طيبة القلب، وتحلم بأن تنشئ أسرة جميلة وطيبة، وتتمنى أن تتزوج من شخص محترم وشهم من عائلة محترمة وجيدة.

وبعد مرور سنة واحدة في شهر يوليو، كان لندى صفحتها الشخصية على موقع فيسبوك، وكانت جالسة على الأريكة تتصفح الأخبار دون وجود زملائها القدامى على الإطلاق. وكالمعتاد، أصبحت تشعر بالملل أحيانًا، وظلت في منزلها دون أن تفعل شيئًا. فظهرت رسالة مخفية في أرشيف الرسائل على صفحتها الشخصية، فدخلت لتقرأ رسالة مكتوبة من محمد هشام أخبرها فيها أن عليهما ربما مناقشة أمور الزواج بينهما، لعله يرغب في الزواج منها. فبدت مندهشة ومصدومة، لأنه لم ينسها يومًا منذ اختفت، وحاول أن يرسل إليها رسائل، لكنها كانت منشغلة مؤخرًا فظلت مندهشة لأنه حاول الوصول إليها بالبحث عن اسمها الكامل، دون أن تظهر على صفحتها الشخصية معه. لذا خافت أن تُظهر رد فعلها بعد أن حظرته بطريقة نهائية.

وذات يوم، ذهبت ندى لإجراء مقابلة عمل بعد خروجها من المنزل، ووصلت إلى مبانٍ طويلة محاطة بالأشجار أمام النادي الكبير. لكن لم يخطر ببالها قط أنها، بعد دخولها في حالة من الصدمة، ستجد محمد هشام واقفًا أمامها بجانب مجموعة مليئة بالعاطلين عن العمل. فقابلته بعد وقت طويل، وكادت أن تتراجع إلى الخلف بعد أن ترددت للحظة واحدة، لكنها لم تستطع أن تهرب من ماضيها المؤلم. وبدت متمسكة للغاية، تحاول أن تبدو هادئة بهذه الطريقة الصعبة. أما محمد هشام فقد بدا متوترًا ومرتبكًا، ولم يستطع أن يلقي التحية عليها بعد أن وقف بجانب صديقه. وحين حاولت ندى تجاهل الموقف المحرج، صعدوا إلى داخل الشركة، وسارت عبر السلالم برفقتهم إلى الباب المفتوح، وجلسوا في قاعة الاجتماع، ثم دخلوا إلى الغرفة الكبيرة.

فسألته ندى بعد أن نظرت إليه بعمق، لأنها فضولية وتجرأت ولم تشعر بالخجل أمامه، قائلة:

- أنت حاولت أن ترسل إليَّ رسائل، فلماذا تفعل ذلك؟

بدا متوترًا ومرتبكًا، لأنه لم يعرف كيف يجيب أمامها، فحاول أن يتماسك، وقال لها بعد أن نظر نحوها:

- لماذا؟ لقد حاولت التحدث إليكِ بشأن الزواج بعد أن رغبت في السؤال عنكِ، فلا توجد مشكلة، أليس كذلك؟

قالت ندى بعد أن حاولت استجماع شجاعتها:

- توجد زميلتي التي تعرفها في نفس الدفعة، كانت معنا، واسمها ندى راضي مثلي. فلربما تود أن تتزوجها، فهي أفضل مني لأنها ماهرة في الطبخ والأعمال المنزلية، أما أنا فلست زوجة مثالية، أليس كذلك؟

اقتنع محمد هشام بكلام ندى خالد بعد أن تفهم موقفها، وقال لها بعد أن أشار بدائرة حول رأسه ثم نظر نحوها:

- ربما سأفكر جيدًا وأحاول أن أتحدث إليها، لكن ما يهمني هو قلب المشاعر عندما نتزوج ممن نحب بالطبع، دون زواج تقليدي.

أجابت بهذه الطريقة بعد أن أصبحت تثق بنفسها، فقالت له:

- أعرف، ولكن الكثير من الناس يتزوجون دون حب عن طريق زواج تقليدي، ثم يحبون بعضهم بعضًا بعد الزواج، كما يقال في طباع البشرية ضمن المجتمع المصري.

لم يرد محمد هشام على كلامها، وبدا مضطربًا وشارد الذهن، ولم يستطع أن يجد إجابة على أسئلتها. فأكملت ندى سؤالها بنظرة فضولية، إذ تذكرت شيئًا خطر على بالها فجأة، فقالت له بعد أن نظرت نحوه وبدت الوضوح في عينيها الضيقتين، وراقبت لغة جسده:

- أريد أن أسأل سؤالاً للحظة واحدة: كيف عرفت صفحتي الشخصية؟ لا أحد يتذكرني، ولم يعدوا يحاولون الوصول إليَّ يومًا بعد أن اختفيت، لكنك الوحيد الذي يحاول التواصل معي، فوجدتني بهذه الطريقة السهلة لأنك بحثت عن اسمي الكامل، أليس كذلك؟

فقال لها بعد أن نظر نحوها واستجمع شجاعته عدة مرات:

- نعم، لكنني كتبت لكِ في رسالة خاصة بعد أن دخلت على صفحتك الشخصية، وأردت أن أطلب إضافتك بالإرسال إليكِ، لكنكِ أغلقتِ الصفحة الشخصية دون أن يرى أحد منشوراتكِ أو تعليقاتكِ. لذا دخلت في رسالة خاصة لأنني أرغب في التحدث إليكِ، فوجدت نفسي محظورًا لأنكِ حظرتيني فجأة.

أجابت بهذه الطريقة الذكية بعد أن بدت في حالة من اللامبالاة، قائلة:

- حسنًا، ولكني فعلتُ ذلك لأنني لا أريد أن أتحدث إليك على الإطلاق، ولم أعد موجودة معهم بعد أن بقيت بعيدة عنكم إلى الأبد.

فقال لها:

- حسنًا، لا توجد مشكلة، فأنتِ حرة بالطبع في حياتك الخاصة، ولم أجبركِ على الإطلاق.

ثم افترقا، ومضى كل واحد منهما في حياته إلى الأمام، ولم يعدَا يلتقيان مرة أخرى إلى الأبد بعد انتهاء قاعة الاجتماع. ولم يعودَا قادرين على التحدث معًا مرة أخرى، فتوقف عن المحاولة بهذه الطريقة النهائية. ومضت ندى في حياتها إلى الأمام، وحاولت البحث عن عمل، فقد ظلت تعاني من حياتها المليئة بالفراغ وحاولت عدة مرات، ثم توقفت بسبب الاستسلام، ولم تعد تعرف أخبار محمد هشام في الفترة الأخيرة. أما محمد فشعر بالغيرة عندما علم من أصدقائه أنهم تزوجوا، فأصبح يبحث عن عروس مثالية أخرى بعد أن استسلم بشأن ندى، فلم يعد يحاول، وتوقف عن المحاولات بسبب رفضها المتكرر طوال الوقت.

الاحلام والواقع

كُنْت آمل . . كُنْت أَحلُم . .

لَكِن الأمل لَم يَتَحقَّق وظلَّ فِي اَلْبال مُجرَّد حُلْم مِن الأحْلام

سحر خَلِيفَة

كانت ندى خالد تكتب دائمًا في مذكراتها التي تحتوي على أحلامها وأهدافها منذ تخرجها من المدرسة الثانوية. فأكملت دراستها في التربية الفنية، وأرادت أن تحقق أحلامها وأهدافها، وحلمت أن تصبح مصورة فوتوغرافية، لأنها ترغب في افتتاح معرض للتصوير والرسم. فهي تحب فن التصوير والرسم وتراه رسالتها في الحياة. وقد اختارت التصوير منذ أن اكتشفت موهبتها في هذا المجال، لأنها لا تستطيع أن تتخلى عن تجربتها الجميلة وحلمها البسيط. في إحدى رحلات العائلة المليئة بالسفر، تعلمت التصوير، واعتادت أن تلتقط الصور من الطبيعة والحيوانات والمتاحف، لأنها تعشق الصور الطبيعية دون تعديل. ثم تطورت هواياتها إلى تجربة جديدة باستخدام الكاميرا الفوتوغرافية، فقد طلبت من والدها أن يشتري لها كاميرا جديدة لتحقق حلمها في أن تصبح مصورة وتقيم معرضًا للفنون. وافق والدها، وطلب من صديقه الذي يعمل خارج البلاد أن يشتري الكاميرا، فسأله صديقه عن نوع الكاميرا التي ترغب فيها الموهوبة.

ثم سألها والدها:

- ما نوع الكاميرا الذي تريدينه؟

أجابت:

- لا أعرف، فأنا لست خبيرة بأنواع الكاميرات، أنا مبتدئة يا أبي.

لم يسبق لها أن جربت اختيار نوع مناسب يومًا، فاختاره صديق والدها من أجلها، لكنها نادمة على ضياع كل هذا الوقت، إذ كان بإمكانها اختيار كاميرا تناسبها حسب جودة الصورة ونقائها. وبعد مرور أيام قليلة، وصلت الكاميرا من الخارج، ودفع والدها ثمنها. كانت ندى سعيدة بعد أن حصلت على الكاميرا لأول مرة، وأرادت أن تستغل التصوير في عمل "فلوجات" وتبدأ بتحميل الفيديوهات عبر قناة على موقع يوتيوب مع أخيها، لأنها تريد أن تقدم محتوى مفيدًا ومهمًا من أجل رسالة ملهمة وقوية. لكنها لم تكن تتخيل أبدًا أن أحد أقرب الناس إليها سيدمر حلمها وسعادتها في لمح البصر. فقد كانت والدتها عائقًا في طريق تحقيق حلمها، إذ لا تسمح لابنتها بالذهاب إلى أي مكان بمفردها لتصوير الأشياء خارج المنزل، خوفًا عليها بعد بلوغها سن المراهقة، لأن والدتها أحيانًا تبالغ في حمايتها. وعندما توقفت ندى عن التصوير الفوتوغرافي واستسلمت ببساطة، فقدت حلمها، ومالت إلى الكسل، ولم تعد تعتمد على والدتها بعد أن فشلت عدة مرات. فقد شاركت في معرض المركز الثقافي الأرثوذكسي في العباسية، ولم تمتلك صورًا خاصة بالتصوير الفوتوغرافي. وحاولت أن تذهب برفقة والدتها إلى أي مكان يناسب ذوقها في التصوير لتشارك في مسابقة المركز الثقافي، لكنها فشلت في التصوير في الحديقة بسبب التكلفة العالية، ولأن والدتها ترغب أن تفوز ابنتها في مسابقة للتصوير لتساعدها وسألت والدتها عامل الأمن في الحديقة:

- كم تكلفة التصوير بالكاميرا داخل الحديقة من فضلك؟

فقال لها:

- خمسمائة جنيه للساعة الواحدة داخل الحديقة.

شكرته وغادرت برفقة ابنتها التي كانت متضايقة، فقررت أن تتخلى عن حلمها، لكنها طبعت صورًا من أعمال أخيها لتشارك في معرض التصوير. لكنها أخطأت حين وضعت الصور على البورتريه تحت سريرها، فأفسدتها بسبب البقع السوداء التي ظهرت على الصور المطبوعة، مما جعلها تواجه صعوبة في التحقق من مديرة المسابقة.

تفهمت مديرة المسابقة الأمر، ثم سمحت لها بالمشاركة لأنها منحتها فرصة ثانية لتصحيح الصور مرة أخرى. فطبعَت ندى الصور على البورتريه بشكل جيد خالٍ من البقع السوداء، وأعطتها لمديرة المسابقة بعد أن انتهت من الطباعة لتُحفظ في التخزين المؤقت، تمهيدًا لعرضها في معرض المركز الثقافي الذي يُكتب عنوانه باسمها كمتسابقة موهوبة: ندى خالد. وفي يوم حفل تكريم المسابقة، الذي احتفى بتنوع المواهب في مجالات التصوير والرسم والنحت، تجمع في المساء الأصدقاء المشتركون والآباء والأمهات من ديانات مختلفة. وتم تكريم جميع الأمهات بشهادات تقدير بمناسبة عيد الأم في معرض الكنيسة. لكن ندى لم تفز، ولاحظت أن الشهادة كانت باسم فتاة أخرى، فقد حدث تبادل في الأسماء. فبحثت عن الفتاة الأصلية التي تحمل الشهادة غير الصحيحة، وتم تصحيح الأسماء، وحصلت ندى على شهادتها الأصلية. غضبت ندى من عدم تقديرها، وكرهت التصوير للمرة الأولى بسبب غشها بأعمال أخيها، الذي يعرف موهبتها في التصوير، لأن أحدًا لم يدعمها لتحقيق حلمها. وما زالت تكذب على نفسها أحيانًا، ففقدت ثقتها بنفسها، واستسلمت للحزن، وأدركت أنها لم تنجح بسبب لجوئها إلى الغش حتى لا تضيع الفرصة.

وبعد مرور سنة ونصف، وجدت بالصدفة منشورًا يعلن عن معرض في ساقية الصاوي بشارع الزمالك تابع لمجموعة هيا نتعلم التصوير الفوتوغرافي عبر موقع فيسبوك. فحاولت تحقيق حلمها، فسجلت وشاركت عبر موقع خاص بمعرض ساقية الصاوي. لكنها هذه المرة شاركت بصور من أعمالها الخاصة الملتقطة بالهاتف، وليست من أعمال أخيها، لأنها تعلمت من خطئها. وبعد أن أخذت موافقة والدها، اختار مدير المعرض، بولس، صورة واحدة من بين ثلاث صور أرسلتها عبر البريد الإلكتروني إلى عنوان جوجل، إذ كان لديه خبرة كبيرة في مجال التصوير. ووافق على مشاركتها بأعمال من تصويرها في معرض ساقية الصاوي. كانت ندى متحمسة لأنها ستحقق حلمها في المستقبل. وكان بولس ماهرًا للغاية في اختياره لصورة واحدة أظهرت شباكًا خشبيًا أمام منظر طبيعي في مزرعة واسعة مشرقة مليئة بالزرع الأخضر بجانب المقبرة، داخل غرفة الصالة في قصر ريفي. ثم دفع والدها قيمة الاشتراك في معرض الزمالك، لأن الطباعة ستكون على مسؤولية مدير المعرض. وفي يوم معرض التصوير، كانت ندى سعيدة لأنها حققت حلمها، فاستعدت للذهاب برفقة والدتها إلى حي ساقية الصاوي. وكان المكان مزدحمًا حين وصلت إلى داخل المعرض، وحصلت على شهادة التقدير من مدير المعرض مع والدتها المشجعة أمام الجميع على مسرح المعرض.

ولم يستغرقوا أكثر من ساعة واحدة، ثم عادوا إلى المنزل بعد طريق طويل. فشعرت ندى باليأس والإحباط بعدما قارنت بينها وبينهم، لتجد أن صورها ليست جميلة على الإطلاق، لأنها لم تصدق بعد أن أصبحت منبهرة بأعمال المتميزين. فقد كانت صورهم من أعمالهم الخاصة، ويبدون أفضل منها بمراحل. لكنها لم تعد تشعر بالحماسة، إذ شعرت أنها لا تملك الموهبة في التصوير، وفقدت الثقة بنفسها. وفي داخل الغرفة الرئيسية، كان والدها جالسًا على السرير أمام شاشة التلفاز، فطلب من ندى أن يرى الصورة التي شاركت بها في المعرض بعد أن التقطتها. فوقفت أمامه بعد أن دخلت وأعطته صور الألبوم من المعرض التي شاركت بها.

ثم قال والدها:

- صورتك ليست جيدة على الإطلاق، لأنها لم تعجبني بالطبع، وقد أنفقت كل هذا المال من أجل أن تشتركي في معرض التصوير، يا ندى.

فقالت له بعد أن يئست من أحلامها ونظرت نحو والدها الغاضب:

- أعرف، فأنت محق، لأنني لست موهوبة، وقد فشلت عدة مرات. لكنك تكسر أحلامي وتجعلها تتلاشى بسببك.

وأكملت كلامها وتنفست الصعداء:

- ولكني أريد أن أبيع كاميرتي الخاصة، لأنني لم أعد أحب التصوير على الإطلاق.

فرفض والدها، الذي تجاهلها وقال:

- لن أوافق على بيع الكاميرا أبدًا، فقد وعدتني ألا تبيعيها قبل فترة طويلة، أليس كذلك يا ابنتي؟

ترددت ندى وقالت:

- أعلم يا أبي، ولكن يجب أن نبيع الكاميرا، لأنني فشلت ولن أستمر، وقد تركت التصوير الفوتوغرافي منذ وقت طويل.

اعترض على طلبها، ثم ذكّرها بأنها وعدته ألا تبيع الكاميرا، واتفق معها لكنها استسلمت بسبب أخطائها المتكررة على الدوام، فأصبحت فاقدة للحلم والشغف، وتخلت عن التصوير الفوتوغرافي مع مرور الوقت بسبب انشغالاتها، ما عدا تصويرها بالهاتف المحمول، وتوقفت عن استخدام كاميراتها الخاصة. مرت شهور وسنوات وهي تذهب بمفردها إلى أي مكان، وقررت أن تنشر هواياتها المتنوعة على موقع إنستغرام. ومع مرور الوقت، اتجهت إلى تجربة الرسم المائي بعد دخولها السنة الثانية من الكلية لاستغلال وقت فراغها، وتحسنت موهبتها في الرسم والتصوير عما كانت عليه في السابق. كانت تحلم أن تصبح رسامة ومصورة، ثم تفتتح معرضًا للرسم والتصوير في المستقبل. جرّبت مختلف الهوايات خطوة بخطوة، لأنها أرادت أن تبحث عن ذاتها الحقيقية لاكتشاف نفسها بعد أن تطورت هواياتها خلال فترة قصيرة. حاولت أن تمارس هوايتها المميزة، الرسم المائي، وسط انشغالها بفترة دراستها الحالية، لكنها استسلمت بسبب الضغوط النفسية والدراسية، وتحولت إلى فتاة أخرى هشة بلا روح على الإطلاق بسبب مشكلاتها الصعبة وبكت بمفردها بعد أن نظرت نحو السماء المظلمة، ووجدت نفسها تائهة، فاستسلمت، ثم مزّقت لوحاتها الفنية وتوقفت عن الرسم بشكل نهائي وإلى الأبد، لأن هناك نقصًا في حياتها لأسباب غير معروفة. فقد فشلت مرات عدة، ولم يشجعها أحد أو يدعمها في طريق حلمها، فتخلت عن حلمها بهذه البساطة، وأصبحت مشتائمة وحزينة على الدوام. تخرجت من كلية التربية الفنية، ولم تعد تجرب أشياء جديدة يومًا، وظلت الفتاة الروتينية التي تعيش الحياة دون حلم أو هدف في حياتها طوال الخمس سنوات.

حالة الصداقة ليست حقيقية

لاَ تُطْلِق مُسمَّى الصَّداقة على كُلِّ عَابِر يمُر بِحياتك ، حَتَّى لاَ تَقُول يوْمًا : الأصْدقاء يتغيَّرون .
جُبْران خليل جُبْران

أحيانًا قد يخدعنا مَن نسمّيهم أصدقاءَ في مرحلةِ الشباب. نرى الحياةَ لا تسيرُ كما نريدُها بالضبط، بل تتّجهُ في الاتجاهِ المعاكس. ومع مرورِ الوقت، نجدُ الشخصيةَ تتغيّر، والأفكارَ لم تَعُد كما كانت في السابق، بسببِ اختلافِ الآراءِ والأفكارِ والشخصيات. فكلّ شخصٍ نشأ في بيئةٍ مختلفة، لا تشابهَ بينها، ما بين الجهلِ والوعي في دَورةِ الحياةِ عبرَ طريقٍ لا نهائيّ. لا نريدُ العودةَ إلى الماضي، لكنّه يظلّ يلاحقُنا، يطاردُنا بالندمِ والألمِ والقسوة. ومن المهمّ أن ننهضَ ونقاومَ ونتخلّصَ من الأشياءِ السلبيةِ لنمضيَ إلى الأمامِ في طريقٍ طويلٍ دون أن نملكَ الأصدقاء. في تلك اللحظة، يكتشفُ المرءُ ذاتَه لأوّل مرة.

تعيش ماريان أيمن في حيّ عزبة النخل، وهي الابنة الوحيدة لعائلة مسيحية تعاني الفقر. كانت هادئة وخجولة في المرحلتين الابتدائية والإعدادية، وقد اختارت أن تكون صديقةً لسلمى في وحدتها الشديدة وانطوائها بين الطلاب والطالبات. لم تتركها يومًا، أو هكذا ظنّت سلمى، التي اعتبرتها أول صديقة حقيقية لها بعد تجربة صداقة فاشلة مع روان، التي كانت صديقةً مزيّفة في حياتها. كانت سلمى غير ذكية ووحيدة، ومع مرور الوقت تعلّقت بماريان دون أن تدرك ذلك، لكنها لم تتخيّل يومًا أن تكون ماريان مثل روان. شعرت بالغرابة منهما بعد أن رأت صورًا تجمع بين روان وماريان على أحد مواقع التواصل الاجتماعي، تظهران فيها سعيدتين وصديقتين مقّربتين خارج المدرسة في أوقات الخروجات دونها. شعرت سلمى بالحزن، فربما يستبدلها الجميع بشخص جديد كالعادة. وجدت نفسها وحيدة للمرة الثانية، فهي لا تشعر بالحزن عليهما ولم تعتبر ماريان صديقتها يومًا، إذ إن شخصية ماريان لا تعجبها على الإطلاق بسبب تصرفات روان. لا تريد أن تتعلّق بها، وقد تجاوزت أوقاتًا صعبة، ولم تحب ماريان أصلاً، ولا ترغب في أن تظلّ وحيدة.

لم تعد تشعر بالراحة تجاه ماريان، وترى صداقتهما غير حقيقية، لأنها دائمًا بديلة في حياة الجميع. اعتادوا أن يتخلّوا عنها ويتركوها وحيدة بعيدًا عن وجوه الناس بمجرّد انتهاء المصلحة. لم تشعر يومًا أنها صديقة لأحد، وقد عاملوها كأنها فتاة سيئة دون أن ترتكب خطأ، بسبب شخصيتها العادية التي لا تتّصف بروح المرح والسعادة. لا أحد يعرف كواليس قصتها الحقيقية، إذ يحكمون على شخصيتها المملّة دون أن يفكّروا في مشاعرها الطيبة نحوهم.

وفجأة، لم تكمل ماريان دراستها بسبب المصروفات. تركت الدراسة بعد انتهاء المرحلة الإعدادية، إذ لم يستطع والدها تحمّل مصروفات الدراسة، كما كان مكان سكنها بعيدًا عن مدرستها. فوجئت سلمى حين علمت من ماريان بذلك، فعادت إلى وحدتها الصعبة والقاسية مرة أخرى. ابتعد عنها الطلاب والطالبات وتركوها في حزنها الكبير. مرّت الأيام والسنوات وهي في وحدتها القاسية، لا تعرف كيف تستغل وقتها. كانت تتحدث مع ماريان عبر تطبيق الواتساب في أيام الدراسة، ثم اجتمعت سلمى وماريان وجوزيف وروان في محادثات عبر تطبيق زووم على مكالمات فيديو مشتركة بينهم بطريقة مباشرة طوال الوقت. وبعد سنوات، سمعت سلمى أن ماريان، تلك الزميلة الوحيدة التي تركت الدراسة، قد تزوجت وأنجبت طفلاً. ظلت ماريان تتحدث مع سلمى باستمرار في المرحلة الإعدادية وحتى المرحلة الثانوية الحالية.

في غرفتها الخاصة، كانت سلمى جالسة أمام الحاسوب المحمول، ففتحت برنامج زووم لمكالمات الفيديو ووافقت على الاشتراك مع روان وماريان وجوزيف. وبعد انتهاء المجموعة عبر البرنامج، بدأت مكالمة فيديو منفردة بناءً على طلب جوزيف الذي أراد التحدث إليها بمفرده، فوافقت دون تفكير عميق. تحدثت إليه وهي مترددة، لأنها تواصلت مع شاب مسيحي، جوزيف، الذي تعرفت إليه لأول مرة عن طريق ماريان وروان عبر تطبيق زووم. كان صديقًا مشتركًا خارج نطاق المدرسة، جالسًا على كرسي في غرفة الصالة، يتحدث إليها بعد أن سأل عنها وحاول التعرف إليها أكثر. لم يكن شابًا صالحًا طيبًا، بل بدا متسكعًا في حي شعبي، بملابس غريبة، وظهر وشم مخيف على ذراعه. ظلت تتحدث إليه في أيام عادية، لكنها كانت خائفة ومتوترة خشية أن ينتبه أحد من عائلتها إليها أو يفضحها داخل المدرسة. لم تكن تعرف إن كانت ترتكب خطأً أم لا بسماحها لنفسها بالتعرف على الشباب بسبب فضولها المبالغ فيه. وبعد أن سأل عنها، قرر جوزيف اختبارها، فجعلها تقسم على عدم إخبار أحد، فأقسمت، ثم أخبرها بحقائق عن ماريان وصديقتها المقربة روان. بدت سلمى مصدومة ومندهشة، إذ اكتشفت حقيقة ماريان التي كانت مرتبطة بجوزيف قبل

زواجها من شخص آخر، ولا تحب زوجها، وما زالت ترغب في استمرار علاقتها بجوزيف. حاولت ماريان إعادة علاقتهما بعد زواجها، لكنه رفض أن يكون عشيقها دون علم زوجها. حذر سلمى من التقرب من ماريان، مؤكدًا أنها ليست طيبة القلب، وأقنعها بالابتعاد عن صديقتها القديمة. أخبرها لأول مرة بحقيقة ماريان وروان، فتعجبت وسألت نفسها: لماذا اختارها ليخبرها بالحقيقة؟ حاول اختبارها، لكنها لم تفهم سبب رغبته في إخبارها. ومع مرور الوقت، نفذت تحذيره فعلاً، فابتعدت عن ماريان وروان في الفترة الحالية ولم تعد تتحدث إليهما مرة أخرى بعد أن تركت ماريان نهائيًا. في تلك الفترة، لم تعد تعتاد على وجود ماريان في حياتها، فتخلت عنها دون أن تدرك ذلك أصلاً. انشغلت سلمى بظروفها الدراسية، ولم تعد تتذكر ماريان، فابتعدت عنها بطريقة نهائية. وفي الوقت نفسه، ابتعدت عن جوزيف، حبيب ماريان السابق، ولم تعد تطيق وجوده المزعج أمام الطلاب والطالبات في الكلية أو مراكز الكورسات التعليمية، لأنه استغل ضعفها حين أراد الخروج معها ورؤيتها، لكنها رفضت حفاظًا على سمعتها. ومع مرور الأيام والأسابيع والشهور والسنين، أصبحت ماريان فتاة مجهولة، إذ لم يعد الأصدقاء القدامى من المدرسة يتذكرونها أو يتواصلون معها. أما ماريان، فظلت تذهب إلى الصلاة في الكنائس وتقابل الأصدقاء المشتركين كي لا تعيش وحيدة بين أمها وزوجها الطائش وطفلها الصغير. بقيت ربة منزل بعد زواجها، إضافة إلى انفصالها عن ابن عمتها يوسف وحبيبها السابق جوزيف. لم تعد تحب زوجها، وتشعر بالانزعاج والملل حين تصبح وحيدة، فتنشغل بالأعمال المنزلية. أصدقاؤها القدامى بدأوا يبتعدون عنها مع الوقت، ولرغبتها في عدم الشعور بالوحدة، استمرت في التواصل مع أصدقائها المقربين، لعلها تشتاق إلى ذكرياتها القديمة. لكنها في الحقيقة فتاة عادية وسطحية، مثل بقية الفتيات القاصرات اللاتي تزوجن في سن مبكرة

وبعد سنين عديدة، ذهبت سلمى إلى جمعية خيرية للتبرع بسماعات طبية، وكان لها علاقة برعاية اللاعب المشهور محمد صلاح. سارت سلمى في طريقها إلى داخل مكتب جمعية رسالة المشهورة، ودخلت إلى غرفة مزدحمة، ففوجئت بماريان التي كانت واقفة تحمل طفلها الصغير. انتبهت إليها ماريان وابتسمت ابتسامة مشوقة، لأنها اشتاقت إليها كثيراً. لاحظت سلمى أن ماريان لم تعد كما كانت في السابق؛ فقد بدا على ملامحها التعب، وامتلأت بالحزن، وزاد وزنها بصورة مفرطة بعد ولادة طفلها. شعرت سلمى بالصدمة والاندهاش والقلق، إذ تذكرت جوزيف وما قاله عنها فجأة بعد أن قابلت ماريان مع مرور السنين، وسط انشغال الجميع بإعداد الأدوات والأجهزة الطبية وكشف التقارير الطبية. سألت سلمى ماريان عن أحوالها بعد أن حاولت التحدث إليها بشكل عام، وأرادت أن تأخذ رقمها، لكن سلمى رفضت، لأنها لم تشعر يومًا بالراحة لوجودها بعد أن صدقت ما قاله جوزيف عنها، ولم تحاول التفريق بين الحقيقة والكذب. لم تكن تريد أن تجعل الجميع يكشفون الحقائق عنهم أمامها، فقد ترددت لعدم قدرتها على معرفة إجابات أسئلتها عن حياتهم الشخصية، فلا تستطيع السؤال عنهم أبدًا. لهذا، ابتعدت عنهم، إذ تعلمت أن تعطي الحق لأصحابه، وأن كل شخص حر في حياته، فلا تتدخل في حياة ماريان وروان على الإطلاق. أجبرت نفسها على التظاهر بابتسامة كاذبة أمامها، ثم ودعت ماريان للمرة الأخيرة بعد رفض الأوراق المطلوبة. رفضت جمعية رسالة الخيرية طلبها بسبب فاتورة الكهرباء المرتفعة، على عكس الفقراء، إذ عاشت سلمى في بيئة متوسطة الحال. استسلمت سلمى ببساطة، وخرجت من الجمعية، ولم تعد ترى ماريان مرة أخرى على الإطلاق. وفي السنوات الأخيرة، أصبحت ماريان مقربة من روان بعد أن توقفت عن دراستها الثانوية، وبسبب وحدتها الشديدة، لم تفترقا يومًا، وأصبحتا صديقتين مقّربتين أكثر من سلمى. تواصلت ماريان مع شيماء، الصديقة المشتركة، لأنها أرادت أخذ رقم سلمى عن طريقها، لعلها تشتاق إلى حنين الماضي في المدرسة. طلبت شيماء من سلمى إرسال رقمها الحالي إلى ماريان، زميلتهما المشتركة، وقالت إن ماريان تريد التحدث إليها. فوجئت سلمى برغبة ماريان في التواصل عبر تطبيق الواتساب، لكنها رفضت، لأنها لا ترغب في وجودها في حياتها، ربما لتتخلص من الماضي المؤلم الذي يلاحقها باستمرار في الحاضر. في تلك الأثناء، كانت شيماء محتارة، إذ لم تعرف ماذا تقول لماريان، فسألت سلمى عبر تطبيق الواتساب. أخبرتها سلمى أن عليها اختلاق الأعذار، لأنها لا تبالي بوجود ماريان على الإطلاق. تقبلت شيماء ذلك، واختلقت أعذارًا وهمية عن سلمى. اضطرت سلمى إلى الابتعاد بطريقة نهائية، فحظرت التواصل معها، واكتفت بشيماء وماريان كزميلات قديمات، ثم تخلت عنهن. ما زالت سلمى وحيدة دون صديق، فقد تعلمت الصبر بنفسها بعد أن تعرضت لعلاقات فاشلة وصداقات غير حقيقية في حياتها.

من الصعب أن تدوم الصداقات إلى الأبد، لكن من السهل أن تنكسر الصداقات الوهمية وتتعمق العلاقات. وبعد مرور عدة شهور، حاولت ماريان التواصل مع سلمى عن طريق ميريام، صديقتهما المشتركة الأخرى. طلبت ميريام من سلمى السماح بإرسال رقمها الجديد، لكن سلمى رفضت للمرة الثانية، وغضبت بشدة بسبب كراهيتها لماريان التي ما زالت لا تفهمها على الإطلاق. استسلمت سلمى في البداية، لكنها غيّرت رأيها بعد أن أجبرتها ميريام التي حاولت إقناعها كثيراً. تحدثت سلمى مع ماريان، وبعد أيام قليلة، غيّرت سلمى رقمها إلى الأبد، وشعرت بالراحة لأنها لم تعطِ رقمها الجديد لأحد. لم تكن تريد أن يزعجها الآخرون، وأرادت الابتعاد عنهم بشكل نهائي إلى الأبد. مرت سلمى بمرحلة صعبة بسبب خسارة الأصدقاء المشتركين وقطع علاقاتها بهم، فأصبحت وحيدة، تبكي في الخفاء باستمرار، وتتألم دائمًا حين تشعر بالوحدة والملل. وخلال الأشهر الخمسة الماضية، كانت تتواصل معهم نادرًا، ثم تتوقف وتبتعد عنهم، وتتراجع عدة مرات. حاولت المحافظة على علاقاتها بهم بعد أن اختفت سابقًا، لكنها فجأة استسلمت حين اختفى الجميع ولم يعودوا يشتاقون إليها أو يتواصلون معها بسبب أفعالها المريبة واختفائها المتكرر. حظرت التواصل معهم طوال سنة ونصف، وحاولت إعادة العلاقات المنقطعة، لكن أفعالها المريبة تكررت بعد أن تواصلت مع معظم الأصدقاء المشتركين. انزعجت منهم بسبب تأخرهم في الرد على رسائلها وانشغالهم بحياتهم، فتوقفوا عن التواصل معها إلى الأبد. تخلت عنهم وتركت الجميع بسبب أفكارها المتضاربة، ففشلت في إعادة العلاقات مرة أخرى، وأصبحت بلا صديق، كالميتة بلا روح. دمرت حياتها بين الوحدة والملل والفراغ، وظلت حبيسة المنزل طوال الوقت دون أن تفعل شيئًا، تعيش في صمت، فلا أحد يتذكرها على الإطلاق. لهذا، اختفت من حياتهم إلى الأبد، وأصبحت حكايتها الفاشلة بلا نهاية، في طريق مسدود.

الصداقة المزيفة

لَقد فَقدَت بَعْض الصَّداقات بِسَبب هذَا . هذَا هُو الأصْعب بِالنِّسْبة لِي . أَجِد أَنَّه مِن غَيْر اَلمرِيح جِدًّا مَعرِفة أَنني كُنْت فِي وَقْت مَا صديقًا مُقَربا لِشَخص مَا ، وَبِسبَب الغيْرة وَسُوء الفهْم ومَا إِلى ذَلِك ، فقد تَلاشَت هَذِه الصَّداقات

دُونالْد جُوهانْسون

الحياة كحكايات تروي كواليس المشاهد الصعبة والأحداث، ثم تتحول إلى صندوق ذكريات الماضي المؤلم الأسود، المليء بالندم والألم، حيث الحزن والوحدة بلا صديق. لا يسندنا أحد، فنظل داخل العزلة والوحدة. فقد تعلمنا، مهما حدث، ألا نثق أو نعلّق آمالاً في دائرة الأصدقاء، مهما جاؤوا إلينا وخرجوا من حياتنا كالمعتاد في فترات الحياة، حيث تختفي السعادة المؤقتة.

في المرحلة الابتدائية، انتبه الطلاب والطالبات عندما جاء رجل ذو مظهر بسيط، يبدو فقيراً، يحمل طفلته ويحيطها بذراعه حول جسدها. كانت تجلس على كرسي خشبي داخل الصف برفقة زميلاتها الصغيرات، بمساعدة والدها، بسبب إصابتها ببتر في ساقها اليسرى. شاهدوا ذلك الموقف الإنساني، ومن بينهم سلمى، تلك الطالبة الصغيرة. وبعد أن دخل الوالد مع ابنته روان، وضعها على الكرسي أمام الصف ثم غادر إلى عمله. لم تكن سلمى تعرفها قبل ذلك. بدأت صداقة بين سلمى وروان، وكانت سلمى سعيدة لأنها وجدت زميلة جيدة مثل روان، وربما كانت تخدع نفسها حينها. استمرت صداقتهما طوال المرحلة الابتدائية، وبعدها انتقلت سلمى وروان إلى الصف الأول الإعدادي. كانت سلمى تحب تذوق الأطعمة، وتعلمت الطبخ في سنها الصغير بدافع حبها للطعام. أعدت بانيه مقلية مقرمشة لأول مرة، فكانت سعيدة للغاية. جاءت الفكرة إليها بالصدفة، فجلست في الصف وأخبرت زميلتها روان بما تعلمت إعداده في المطبخ المنزلي، ثم دعتها إلى منزلها كضيفة على العشاء. وبعد انتهاء الدوام الدراسي، وافقت روان على الذهاب معها إلى منزلها دون علم والدتها، فذهبتا معًا في حافلة على طريق مدينة نصر. وبعد عودتهما من المدرسة إلى منزل سلمى، صعدتا في المصعد الكهربائي. كانت سلمى متوترة لأنها دعت ضيفة إلى منزلها لأول مرة، ولم

يسبق لها أن فعلت ذلك من قبل. أما روان، فبدت في حالة من اللامبالاة بعد أن ذهبت معها، متظاهرة بالابتسام ومخفية مشاعرها. خرجتا من المصعد بعد توقفه في الطابق الرابع، فدقت سلمى جرس الباب. فتحت والدتها الباب، وبدت متفاجئة من وجود الضيفة برفقة ابنتها. انشغلت سلمى بإعداد السفرة للعشاء مع زميلتها على طاولة سفرة خشبية بالقرب من الصالة الواسعة.

ثم تناولتا العشاء، ومرت الساعات، وكانت روان في حالة ابتهاج. وفجأة، نهضت روان من الكرسي بسبب اتصال والدتها بها، فاضطرت إلى الذهاب، وأرادت العودة إلى منزلها مسرعة دون تأخير. في تلك اللحظة، قررت سلمى أن تستأذن والدها لترافق زميلتها وتوصلها. قالت سلمى:

- زميلتي أرادت أن تذهب إلى منزلها بمفردها، لكنني سأرافقها وأنزل معها إلى خارج الحي لمساعدتها في ركوب المواصلات.

رفض والدها ذلك عندما عرف أن مكان سكن روان يقع في حي المرج الشعبي المعروف بالبلطجية، فقال:

- لا، لكنني سأصحبكما إلى منزل زميلتك روان لحمايتها في هذا الوقت المتأخر، ثم تعودان معي برفقة ابنتي في سيارتي.

فرفضت روان، التي بدت متضايقة، وقالت له غاضبة:

- لا، لا، سأذهب بمفردي، فأنا أعرف كيف أعتمد على نفسي دون خوف.

رد والد سلمى:

- لا، لا يمكنكِ الذهاب بمفردك في وقت الحظر هذا المتأخر، لكنني أريد أن تعطيني رقم والدتك،فسأتصل بها ثم أصحبكِ حفاظًا على سلامتك. من فضلك، رجاءً، وافقي على توصيلي لكِ.

لكن روان أصرت على عنادها، مؤكدة أنها تريد الذهاب إلى منزلها بمفردها ولا ترغب أن يرافقها أحد على الإطلاق. أدى ذلك إلى خلاف بينها وبين والد سلمى بسبب هذا الموضوع البسيط.

وبعد المشاجرات والمشادة الكلامية الطويلة، وبعد عناد من روان، اتصل والد سلمى بوالدة روان ليصحبها إلى مكانها، بعد أن أجبر روان على إخباره برقم والدتها. وافقت والدة روان ببساطة، ثم استعدوا للنزول إلى أسفل المنزل. ركبت سلمى في المقعد الأمامي، وفي الخلف جلست روان، التي كانت مزعجة للغاية. وصلوا إلى والدة روان، التي كانت تلبس الخمار، وابتسمت بوجه مشرق أمام والد سلمى برفقة ابنتها. بدت امرأة تقليدية بسيطة ذات مظهر كلاسيكي، فألقت السلام، وأخذت ابنتها بعد أن شكرت والد سلمى، وقابلت زميلة ابنتها سلمى لأول مرة. ثم غادرت مع ابنتها روان، فوصلتا إلى مكان سكنهما في حي المرج الشعبي. في تلك اللحظة، عادت سلمى مع والدها إلى منزلهما. دخلت سلمى غرفة والدها، الذي كان متضايقًا وغاضبًا من الموقف بينه وبين زميلة ابنته، بسبب عدم احترام روان وطاعتها له على الإطلاق.

قال والدها، بعد أن صاح بغضب شديد، إنه غير مرتاح لتصرفات روان على الإطلاق، ولهذا لا يريد أن تتسكع ابنته مع زميلتها المستهترة:

- زميلتكِ روان ليست محترمة على الإطلاق، فقد رفضت الاستماع إلى كلامي بحجة الاعتماد على نفسها، فبدت متسكعة مع الشباب دون علم والدتها بعد أن رفضت توصيلي لها. لكنني أحذركِ، لا تقتربي من روان، فابتعدي عنها، ولا يمكنكِ أن تتحدثي أو تتواصلي معها مرة أخرى.

قالت سلمى:

- لكنني لم أعرف إن كانت محترمة أم لا، فأنا لم أصدق على الإطلاق أن روان لطيفة معي. وما الفرق أيضًا؟ لا يمكنني أن أتحكم بها، فهي حرة في حياتها الخاصة.

لم يرد والدها على ابنته، فهو متضايق بالفعل. لقد فهم، فور أن شعر، أن زميلة ابنته لم تبدُ صالحة في نظره.

كانت شخصية روان محترمة، وليست كما يظن والد سلمى. وبعد هذا الموقف، ابتعدت روان عن سلمى، فشعرت سلمى بالاكتئاب. ومع مرور الوقت، استمرت سلمى في التحدث والتواصل مع روان، ولم تتخلَّ عنها، فهي لا تملك أصدقاء غيرها، إذ كانت روان أول زميلة حظيت بها في حياتها الدراسية. لكن في الوقت نفسه، لم تعد روان تثق بسلمى، ولم تخبرها بشيء على الإطلاق، وأخفت عنها الأسرار. وفي تلك الفترة، عرفت سلمى، من خلال النميمة والشائعات، أن روان تعاني مشكلات في حياتها بسبب طلاق والدها ووالدتها. اضطرت والدتها إلى العمل في وظيفة حكومية لتغطية مصروفات روان وأختها. كما علمت أن زميلتها روان لها علاقات مع الشباب خارج المدرسة. أدركت سلمى لأول مرة أن والدها كان محقًا بشأن روان، فلم تستمر في علاقتها بها، وتخلت عنها بعد فترة طويلة. كانت روان ماكرة الشخصية، وأصبحت غير محترمة بسبب تصرفاتها المستهترة، لكنها كانت متعلقة بوالدتها جدًا، وتعتبرها أقرب صديقاتها. كانت تحب أن تكون منفتحة اجتماعيًا، وتختلق المشكلات، وتستغل أصدقاءها. فهي ذكية للغاية، تراقب تصرفات الناس ومحادثاتهم، لكنها تتظاهر بأنها لا تراهم، متجسسة على كلامهم وأفعالهم. بمعنى أنها تعرف كل شيء عن حياة أصدقائها المقربين، شخصياتهم وأفعالهم التي لا يعرفها سواهم.

بعد حفلة المدرسة، حاولت سلمى التحدث إلى روان ومنحها فرصة أخيرة، فلاحظت أن روان نظرت نحوهم دون أن تنتبه لوجود سلمى معها. في تلك اللحظة، شعرت سلمى بعدم الراحة، وكرهت روان لأنها لم تعتبرها زميلة لها على الإطلاق، لدرجة أنها لم تطق أفعال روان معها في الماضي. التحقت روان مع سلمى بالكلية نفسها، لكن في قسم مختلف، دون أن تتحدث إليها أو تتواصل معها. وفي كل مرة تراها، كانت سلمى تتبادل معها التحية بسطحية في التجمعات الاجتماعية. كرهتها سلمى بسبب أسلوبها المتطفل على خصوصية الآخرين. كانت روان باردة المشاعر كالمعتاد. ومن ناحية أخرى، في السنة الثانية، كانت لسلمى زميلة تُدعى ميريام. وفي تلك الفترة الحالية، زادت المشكلات في حياة سلمى الخاصة بسبب الضغوط النفسية والاجتماعية، إذ تعرضت للتنمر والإشاعات والنميمة من الجميع. لاحظت سلمى أن علاقة الصداقة بين روان وميريام بدأت تتوطد إلى درجة أصبحت أقرب بكثير من علاقتها بها، فشعرت بالغيرة لأول مرة، لأنها كانت متعلقة بميريام أكثر من روان. طوال هذا الوقت، لم تكن ميريام شخصًا عاديًا في حياة سلمى، بل رافقتها طويلاً. سمحت سلمى لنفسها، منذ مرحلة الدراسة في المدرسة وحتى الكلية، أن تكون صديقة لميريام، ووثقت بها، وأخبرتها بأمور من حياتها الخاصة لا يعرفها سواها.

لكن في تلك الفترة، تخلت ميريام عنها، لأن سلمى تغيرت وتحولت إلى فتاة مكتئبة ومتشائمة. لم يكن ذلك سهلاً على سلمى، إذ كان من المفترض أن تكون ميريام إلى جانبها في أوقاتها الصعبة، لكن المواقف تكشف حقيقة الأشخاص، لا الكلام. في الأوقات الصعبة، تخلت ميريام عنها. تحاولين تجاهل الحقيقة الواضحة، وتستمرين في التظاهر بأنكِ تخافين من الشعور بالوحدة والانطواء. من الصعب ألا يفهم أحد مشاعركِ وأفكاركِ بقدر ما ترغبين. فالصداقة الحقيقية، ولو مرة واحدة على الأقل، شعور بالأمان والحب، لكن الحياة ليست عادلة حين تهزمك الصداقة المزيفة في الأوقات الحلوة، أما في الأوقات الصعبة، لم يكن هناك من يساند سلمى على الإطلاق. شعرت بالخذلان والغدر، فانكسرت روحها الطيبة في تلك اللحظة القاسية. أصبحت سلمى وحيدة، وشعور الخذلان والغدر كان أسوأ شعور في حياتها. سرقت منها روان، صديقتها المقربة، فأصبحت صديقة لميريام طوال الوقت، في أوقات الدراسة والنزهات والرحلات، دون سلمى التي باتت تبكي في السر دائمًا. كانت تشعر بالحزن عندما تضيق بها الأوقات، وبالغضب عندما ترغب في الانتقام من صديقاتها المقربات، لكنها لم تفعل. مشاعرها القاسية حولتها إلى شخصية قوية ومنافقة، لا تظهر شخصيتها الحقيقية أمام أحد سوى والدتها التي تعلقت بها. فالحقيقة القاسية أنها ضعيفة ووحيدة، لا يساندها أحد، ثم تتصرف بمسترجلة وتضحك أحيانًا مع الشباب والفتيات، لكنها لا تكون على طبيعتها. أصبحت غريبة ومريبة أحيانًا، فهي ذكية بطريقة مخيفة، وفي أحيان أخرى تكون اجتماعية، تعرف كيف تفتح صداقات جديدة. لهذا السبب، تجاهلتها روان دائمًا، لأنها لم تكن فتاة مرحة ومبهجة مثلها بسبب شخصيتها المنطوية. شعرت روان بالغضب من مواجهة أصدقائها السيئين، وهي لا تجيد التصرف بطريقة صحيحة، بل على العكس، أفعالها خاطئة، لكنها تجيد التعامل مع الناس أحيانًا، فلديها مهارة مواجهة الآخرين بشخصياتهم المختلفة. تمنت روان أن تصبح أمًا عظيمة عندما تتزوج وتنجب طفلاً، وبسبب حبها للأطفال، ترغب في الزواج.

كان لديها معارفها وأقاربها ووالدتها وأصدقاؤها المقربون يقفون إلى جانبها أحيانًا، وكانت تتواصل معهم، لذا كانت تبتسم أمام الآخرين دائمًا. أحبها الجميع بسبب أسلوبها المميز وذكائها الحاد. أما روان، فلم تستحق صداقة سلمى على الإطلاق، وقد ابتعدت عنها عندما اكتشفت أن سلمى ليست جيدة، على الأقل بقدر ما انشغلت عن الإشاعات والنميمة والغيبة في دائرة أصدقائها. لهذا، يمكن أن تكون روان متشابهة معهم، لأن لديها عالمها الخاص الذي يعرفه الجميع عنها، وكأنها خُلقت لتكون مناسبة معهم في مكانها الصحيح وفي الوقت المناسب. مع مرور الأشهر الماضية بعد عطلات الإجازة، وفي أحد المراكز التعليمية، تجمع الأصدقاء المشتركون من نفس المدرسة والكلية، بعضهم مع بعض، وسط الآخرين، من أجل تعلم الكورسات وتحقيق الإنجازات. هناك، جلست والدة ياسمين بجانب والدة سلمى، فأخبرتها عن موضوع روان، وأنها اكتشفت أن روان اصطحبت ابنتها ياسمين إلى مطعم في حي مدينة نصر، ودفعت ياسمين فاتورة الحساب بعد أن خُدعت بها، إذ لا تملك روان إلا القليل من المال بسبب انفصال والديها بالطلاق. أخت روان تركت المنزل بعد زواجها، فتضايقت سلمى من موضوع روان بشكل متكرر طوال الوقت. كانت ياسمين، الزميلة الطويلة الأخرى في نفس الكلية، قد درست معها وتكبرها بسنتين، وتخرجت من الكلية قبلها. لديها أخ صغير، عبد العزيز، يدرس مع سلمى في نفس الدفعة. وبعدها، وقعت سلمى في الفخ بسبب روان، فقررت قطع التواصل بينها وبين ميريام وروان في الوقت نفسه، بسبب صداقتها المقربة مع ميريام. أرسلت سلمى محتوى فيديو إلى زميلتها ميريام عبر تطبيق واتساب، تعلمها فيه أنها لا ترغب في استمرار العلاقة العادية بينها وبين ميريام، دون أن تعلم ميريام بما فعلته سلمى. أرادت سلمى أن ترى ما إذا كانت ميريام سترسل الفيديو إلى روان أم لا، فكانت متأكدة أن ميريام ستخونها وتكسر الثقة الغالية التي كانت بينهما، كما شعرت سلمى بعدم الراحة في علاقتها بميريام بسبب ذلك.

أخفت ميريام الأسرار عنها، وذات يوم سارت إلى القاعة العادية التي كانت تقف فيها في صالة الممر المؤدي إلى السلم في الكلية. وإذا بالفتاتين تظهران بجانب بعضهما لتقابلا ميريام وروان في الوقت نفسه. فقالت روان، بعد أن ابتسمت بطريقة غريبة وهي واقفة أمامها، ثم نظرت نحو سلمى التي كانت تشك فيهما في تلك الأوقات الصعبة بمفردها. تأكدت سلمى أن هناك شيئًا مريبًا بينهما وبينها دون أن يُخبراها على الإطلاق، فإحساسها لا يكذب عليها أبدًا، وأصبحت محقة في موضوع الصداقة الموهومة :

- حزنت كثيراً لأن ميريام أرسلت لي رسالة الفيديو التي كنت قد أرسلتها إليها. شاهدتُ الفيديو، وأخبرتني ميريام في رسائلها، فلم أصدق على الإطلاق، ودخلت في حالة من الحزن. لكنني شعرت بالشفقة عليكِ، فلا أعرف كيف أقول ذلك، لأنه يبدو صعبًا للغاية.

دخلت سلمى في حالة من الصدمة، والدهشة واضحة على وجهها، ففتحت فمها. وقالت لها روان، وكانت متأكدة للمرة الأولى منذ تلك اللحظة المؤلمة، إنها خسرت أقرب صديقاتها، ميريام، إلى الأبد. شعرت سلمى بالغضب والكراهية، ولم تفق من غيبوبتها في حالة الصدمة، فعادت إلى ذكرياتها الجميلة والمضحكة في الماضي مع ميريام. لكن فجأة، تلاشت أجمل ذكريات حياتها كأنها غرقت في الرمال المتحركة، فقد اختفت تلك الذكريات وكأنها لم تكن موجودة يومًا. في تلك اللحظة، ارتبك وجه ميريام، ونظرت نحو روان بنظرة عينيها تفضحها، تُشير إليها أن تتوقف عن فعلها ذلك كي لا تعرف سلمى شيئًا على الإطلاق. تراجعت روان بعد أن فهمت نظرة سلمى، وشعرت بشعور غريب.

فأكملت كلامها وغيّرت الموضوع خوفًا عليها بعد أن نظرت نحو سلمى التي كانت مندهشة وتتوقف عن السؤال عنها. فاستمرت تضع الملح على جروح سلمى وابتسمت بوجهها بابتسامة ماكرة، وقالت:

- أنتِ دخلتِ في الاكتئاب بعد أن شعرتِ بالحزن الذي كان يبدو واضحًا على وجهكِ، أليس كذلك؟

تألمت سلمى، وفي داخلها جروح تخدشها بالألم بكسور لم يعد يمكن إصلاحها مرة أخرى. شعرت بشعور الأذى منها، ولم تتخيل أنها ستوضع في موقف مؤلم أمامهما، وأن لا أحد يدعمها على الإطلاق بوجود ميريام، وأنها أصبحت ضحية في خانة الصداقة الموهومة. كانت أفكارها متضاربة: فلماذا تجد نفسها وحيدة في ذلك الموقف الصعب؟ أرادت أن تُلقنها درسًا قاسيًا، لكنها لم تجد كلامًا مناسبًا، ولم تستطع أن ترتب كلماتها للرد، فأصبحت مشتتة للغاية. ثم تخيلت سلمى، بعد أن شردت في الموقف الذي لا تُحسد عليه، أن ترمي كلامها السام عليها.

فصاحت بغضب بعد أن نظرت نحوها بنظرة شرهة مليئة بالكراهية والانتقام:

- أنا أكرهكِ كثيراً! طوال الوقت تبدين مثيرة للاشمئزاز، وتحاولين أن تتظاهري بالسعادة، لكنكِ غبية كل هذا الوقت. عندما عرفتُ أشياء سلبية عنكِ دون أن تعرفي على الإطلاق أنكِ ضعيفة وجبانة، فلا تملكين الشجاعة والقوة لمواجهتي، ولا أطيقكِ على الإطلاق. أنتِ تشبهين الفتاة المنافقة التي تحاول لفت الانتباه، لكنني نادمة كثيراً لأنني تعرفتُ عليكِ. لا تستحقين أن تكوني زميلتي يومًا. ثم أنتِ سرقتِ زميلتي ميريام عندما أخذتِ تسألين عن أمورها بعدما رأيتكما تتحدثان خلف الحائط. أنتما أسوأ الأشخاص الذين عرفتهم. ندمتُ، لكن الندم لا يستحق بعد فوات الأوان، وسوف أدمركما على كل شيء. أعرف أنكما ضعيفتان، فلا تملكان المواجهة معي.

ضحكت ضحكة شريرة بصوت عالٍ بعد أن قالت بابتسامة خبيثة لهن، ونظرت نحوهن بعينيها الشريرتين المليئتين بالحقد وشعلة الكراهية والانتقام. في تلك اللحظة، لم تظهر ردة فعل من سلمى، فانتبهت بعد أن شردت في موقف خيالي خلقته في داخل تفكيرها بسبب افتقارها إلى الشجاعة والمواجهة. فقالت لها بابتسامتها العادية التي تخلو من مشاعرها المتضاربة:

- لا، لا بأس، لم يحدث شيء على الإطلاق، فأنا سعيدة طوال الوقت.

ثم تحولت سلمى إلى الفتاة الطرف الثالث التي كانت زميلة ميريام وروان، فلم تعد زميلة لإحداهما، حتى أصبحت تلك الفتاة المنبوذة بين ميريام وروان لأول مرة في ذلك الموقف القاسي. فغادرت سلمى وهي حزينة كثيراً كل هذا الوقت، بعد أن عادت إلى المنزل من الكلية، فشعرت بالاكتئاب طوال الأيام والأسابيع، شعورًا صعبًا دون سند من أحد حولها وسط عائلتها. وفي تلك الفترة الحالية، انتشرت الشائعات عن سلمى، وأخذوا يتحدثون عنها ويتعاملون معها. شكت سلمى بهم بطريقة مخيفة ومرعبة من الجميع، لكن زملاءها في الكلية عاملوها باللطف للمرة الأولى، ففهمت فورًا الشائعات السخيفة عنها. شعرت بالشفقة من الناس الذين يتدخلون في شؤون حياتها دون حق لهم في ذلك، معتبرة إياهم الأغبياء دون أن يعرفوا حقيقة ما بداخلهم، فلم تُواجههم بصدق يومًا حين تتأكد منهم، لأنهم لا يملكون الحق في السؤال عنها خوفًا عليها. كانت روان تعرف الأمور الخاصة عن سلمى عن طريق زميلتها ميريام، فلم تنجح سلمى في محاولاتها للابتعاد عن روان وميريام بسبب تعلقها بميريام في نفس الدفعة. أرادت أن تساعد روان في تحضير عيد ميلاد ميريام، فضحت سلمى بروحها الطيبة من أجل زميلتها ميريام، وقدمت التنازلات حرصًا على سعادة ميريام. لكن روان تمادت بعد أن خلقت الأعذار بسبب ظروفها المالية الضعيفة، فاتصلت بها في مكالمة فيديو بعد أن أرسلت رسالة إليها، ففتحت سلمى الاتصال بعد أن ردت عليها.

فقالت روان بعد أن نظرت نحو سلمى:

- لم يتبقَ لديَّ مالٌ في الشهر الحالي لأشتري الهدايا، لكنني سأدفع ثمن هدية البورتريه لتحضير صورة تجمع ميريام وأنا وأنتِ وصديقتكِ نوال في صورة واحدة، فما رأيكِ؟ سأحصل على المال المتبقي في بداية الشهر القادم قريبًا، لكن يمكنكِ أن تدفعي المال الآن، وسأعيد إليكِ المبلغ لاحقًا إن كنتِ موافقة، نعم أم لا؟

فقالت سلمى:

- من فضلكِ، اسمحي لي أن أتحدث مع والدتي لأعرف إن كانت ستوافق أم لا، وسأرد عليكِ بعد قليل، حسنًا يا روان؟

تفهمت روان الأمر وانتظرت لتعرف الجواب. في الوقت نفسه، دخلت سلمى إلى المطبخ وأخبرت والدتها بموضوع المال من أجل هدية زميلتها ميريام، وسألتها عن رأيها. لكن والدتها رفضت بشكل قاطع بعد أن تذكرت ما أخبرتها به والدة ياسمين عن ما حدث في المطعم، فهي لا تريد أن تتعرض ابنتها للخداع والكذب في حياتها.

فقالت والدتها بعد أن سألت ابنتها عن الأمر:

- لستُ موافقة على إعطائها المال، فأنتِ تعرفين جيدًا أنها ليست محترمة على الإطلاق حين سرقت المال من ياسمين بعد أن خدعتها. روان الطماعة استغلت ياسمين، وقد تذكرتُ حين أخبرتني والدة ياسمين بموضوع تلك الفتاة.

فقالت لها سلمى بعد أن ترددت، وشعرت بالحيرة:

- أعرف بموضوع سرقة روان، لكنني أريد أن أساعدها في تحضير هدية عيد ميلاد زميلتي ميريام، وهي ستساعدني في مطبعة البورتريه من أجل سعادة ميريام.

رفضت والدة سلمى الأمر رفضًا قاطعًا، فاستسلمت سلمى ودخلت إلى غرفتها، إذ أدركت أن والدتها محقة في موضوع طمع روان الدائم في المال. وتراجعت روان عن رغبتها بسبب تردد سلمى ورفضها، حين استغلت روان ضعفها وتخلت عنها مرة أخرى، بعد أن قدمت هدية لمريم دون سلمى. وليست الصور التي تجمع مريم برفقة صديقاتها المشتركات، ندى وسلمى، ضمن إطار صورة واحدة.

فقد اختارت روان صورًا تجمعها هي وميريام فقط في صورة واحدة دون سلمى وندى، بعد أن أخفت الأسرار عنهما ودفعت ثمن الصورة بمفردها دون أن تعلمهما. لا أحد يعرف كيف حصلت على المال، لكن الحقيقة أن أحدًا لم يسأل عنها بعد أن جعلت سلمى تشعر بالخذلان والغدر مرة أخرى من أجل استغلال مصلحتها لإسعاد ميريام. بدت سلمى مصدومة وغاضبة عندما علمت بموضوع الهدية التي قدمتها روان إلى ميريام. وفي شهر يوليو، خُطبت سوليتا، الأخت الكبرى في عائلة ميريام البسيطة. كانت سوليتا ترتدي نظارة طبية، وهي ذكية وطويلة القامة بشعرها الأسود الطويل، وارتدت فستانًا بسيطًا وجميلاً مع ابتسامة طيبة. لكن ميريام لم تستطع دعوة سلمى إلى حفل خطوبة أختها الكبرى بسبب ضيق المكان، فلربما تدعوها إلى حفل زفافها في المرة القادمة. ذهبت روان إلى حفل الخطوبة مع ميريام بالفعل دون علم سلمى، فتفهمت سلمى عدم دعوة ميريام لها لحضور حفل خطوبة سوليتا، آملة أن تذهب إلى حفل زفاف سوليتا قريبًا. استغلت سلمى وقتها لتصفح تطبيق فيسبوك، فرأت صورة ميريام مع سوليتا بجانب روان التي ظهرت في حفل خطوبة سوليتا. بدت سلمى في حالة صدمة وخذلان، وانكسرت روحها ألف مرة في حياتها، وتألمت مرات عديدة بسببهن. اكتشفت وجود روان في منزل ميريام حيث أُقيم حفل خطوبة الأخت الكبرى،

فصُدمت بما فعلته ميريام التي استمرت في إخفاء الأسرار عنها طوال الوقت. لم تكن سلمى تعرف سبب كذب ميريام عليها، وتظاهرت بالغباء أمامها باستمرار كل هذا الوقت، لكنها ربطت الأحداث بعضها ببعض في داخل تفكيرها.

وفي يوم حفل تكريم الشهادات داخل النادي، كانت سلمى متأكدة للغاية، ونظرت نحوها بشكٍّ، لأنها تشعر أن روان هي المتسببة في انتشار الإشاعات، فلم تسامحها على الإطلاق. لم تزل سلمى لم تسامح ميريام وروان بعد مرور سنتين قليلتين والشهور والأسابيع والأيام الطويلة. فسألت سلمى روان بنظرة متفحصة مليئة بالشك والارتباك، وكانت روان واقفة في الحمام منشغلة بتفحص وجهها أمام المرآة:

- من المتسبب الذي نشر الإشاعات خلف ظهري؟ ولماذا فعل ذلك معي؟

فترددت روان، ثم غيّرت الموضوع وخرجت من الباب بجانبها، لأنها شعرت بالارتباك ولم ترغب في إخبارها بأي شيء مهما حدث على الإطلاق. لم تعتد روان أن تسمح بإخبارها بأي شيء، بعكس صديقتها المقربة ميريام التي استطاعت أن تخبرها بكل شيء، فهي تعتبر ميريام أقرب صديقة لها، بمثابة أختها الأكثر قربًا والأكثر تعلقًا بها.

فقالت روان وهي تنظر نحو مدخل الباب، وأمسكت بمقبض الباب وسحبته إلى داخل القاعة الواسعة المزدحمة:

- هيا نذهب إلى داخل القاعة معًا يا سلمى.

فدخلت معها إلى داخل قاعة النادي، لكنها لم تستطع أن تنظر في وجه سلمى على الإطلاق، ثم تجاهلت وجودها. عندها تأكدت سلمى أن إحساسها صحيح دون دليل على كلامها للمرة الأولى، فلم تعرف كيف تدافع عن حقها أمامهما بسببهما بعد أن دمرتا حياتها، ولم يعد لديها أصدقاء على الإطلاق. تأكدت سلمى أن ل روان علاقة بموضوع الإشاعات، وأنها المتسببة التي دمرت حياتها وصحتها النفسية والعقلية، وخاصة أن ميريام فعلت الشيء ذاته، إذ شاركتها في ذلك. لم يعد بإمكان سلمى أن تثق بروان وميريام مرة أخرى، ولم تستطع أن تتعافى من شعور الخذلان والغدر والطعن من خلف ظهرها، ولم تعد تحتمل أصعب الشعور في هذا الوقت. لم تستطع أن تبني صداقات مجددًا أبدًا. وبعد انتهاء حفل التكريم في النادي، تركت روان سلمى التي ظلت متعلقة بميريام، بصداقة أكثر من علاقة عادية، لمجرد انتهاء المصلحة. حتى سافرت روان مع ميريام في رحلات صيفية دون سلمى مع الأصدقاء المشتركين.

وبعد شهور عديدة من تخرج ميريام وروان من الكلية في أقسام مختلفة، بينما تركت سلمى الدراسة، خُطبت روان بعد أسابيع قليلة من تخرجها، وبدأت ميريام العمل في إحدى شركات الصيدلة بأحد المصانع. لم تتوقف صداقة روان يومًا بعد تخرجها مع ميريام، عندما تخلت عن سلمى التي لم تعد موجودة معهما منذ حفل تكريم الشهادات.

لا توجد صفحاتٌ للصداقة، فإن سارت في طريقٍ مسدودٍ ومجهول، انتهت تلك الصفحات. كادت الصداقة أن تسقط بين الحياة والموت، وهي تتوهّم صفحةً فارغةً بين الوهم والخداع. لم تعد تظهر كصورةٍ للصداقة، بل تلاشت في الرمال المتحركة. في تلك اللحظة الحزينة، انتهى كل شيء بين ذكرياتٍ مؤلمةٍ وإهمال المشاعر. في لحظةٍ واحدة، ودّعتُ الصداقة، فكادت أن تصبح حقيقةً مخادعةً تجمع بين الحب والألم والقسوة.

الانانية والتكبر

لكنَ تحقيرَ الذاتِ هوَ مجردُ أنانيةٍ معكوسةٍ .
منْ يتصرفُ بتواضعٍ حقيقيٍ يكونُ بعيدا عنْ الذلِ بقدرِ ما يكونُ عنْ الغطرسةِ
ستيفنْ ميتشلْ

من الصعب أن تتحدث عما يجري خلف الكواليس وتخفي نوايا المشاعر إن الإنسان يبحث عن صدق القلب بلا خداع أو كذب، بعيدًا عن ثقوب الاستغلال والأنانية والتكبر التي قد تستقر في نفس الشخص الذي يأخذ حق الآخرين دون أن يبذل يومًا تعبًا أو جهدًا. وببساطة، يبدو أن الحياة تمنح الأشرار ما يريدون، بعكس الأخيار، لأنها ليست عادلة. فإن لم تسِر الأمور كما يريد الناس.

سهيلة نور الدين هي تلك الطالبة التي التحقت بهذه الكلية مع سلمى في نفس الدفعة، بعد تخرجها من مدرسة مديحة قنصوة بمدينة نصر، حيث درست مع شروق أيمن في الصف ذاته. وكان هناك موظف مكتب يُدعى بهاء، يعرف سهيلة منذ أن تسللت خارج مدرستها للتسلية والمرح دون علم أحد. وحين التحقت بالكلية، تعرفت على الشباب والطالبات، بينما كانت لا تزال طالبة في المرحلة الثانوية. اعتادت سهيلة زيارة مكتب بهاء طوال السنوات الأخيرة بعد انتهاء يومها الدراسي، فأصبحا صديقين مقربين، يتجاوز ارتباطهما العلاقة العادية بين طالبة وموظف. ورغم فارق السن بينهما، تطورت علاقتهما القوية إلى صداقة عميقة، بل أكثر من ذلك.

في شبابه، سافر بهاء إلى ألمانيا، ثم عاد إلى القاهرة، لكنه لم يكن صادقًا يومًا. فقد استغل الآخرين دائمًا، حتى خدع زملاءه في المكتب بحجة مساعدتهم، مستغلاً جهل الطلاب والطالبات بمهارات القراءة والكتابة. وبهاء، وهو محاسب في شؤون الطلبة، متزوج من امرأة ولديه أبناء صغار، كان يقيم مع زوجته وأولاده في مدينة الرحاب. لم يكن مجرد رجل عادي، بل كان ذكيًا واجتماعيًا للغاية، إلا أن هوسه بالنساء والشابات كان يعيبه دائمًا.

لكنه كان يميل إلى لمس النساء والشابات دائمًا بعد أن يتقرب منهن، مستغلاً إياهن لإرضاء غروره. وكان على دراية واسعة بموضوعات شتى، تتعلق بالأصدقاء المشتركين والأشخاص ذوي النفوذ، فضلاً عن شؤون الكلية والفتيات ومعارف الأصدقاء خارجها، ومشكلاتهم التي تدور في دائرة الأصدقاء المقربين. وقد سمع الإشاعات والنميمة والغيبة والأكاذيب التي تحاك حوله عن الأصدقاء المشتركين الذين كانوا يطلعونه دائمًا بما يجري. وكثيراً ما رافقهم في رحلات نشاطية، وتردد على المولات الراقية والمقاهي.

أما سهيلة، التي كانت تقيم في إمبابة بالجيزة، فلها أخوات في عائلتها. وقد تبدو مثالية ظاهريًا، لكن حقيقة حياتها قاسية ومؤلمة، إذ تعيش في مدينة يغلب عليها الفقر. عملت في مواقع الإنترنت لبيع أدوات المكياج، بهدف كسب المال بسهولة، دون أن تركز على دراستها. ولهذا، كانت تعتمد على مساعدة بهاء، الموظف الذي ظل يدعمها باستمرار.

في اليوم الدراسي الأول من السنة الأولى، في الفصل الدراسي الأول، جلست سهيلة، التي كانت تتسم بأناقة بالغة، بعد أن سارت إلى قاعة المدرج. هناك تعرفت على سلمى، التي كانت تجلس إلى جانبها، تبدو متحمسة ومتوترة في آنٍ واحد. ركزت سلمى على الدكتور الذي كان يشرح محتوى المادة أمامهن، بينما لاحظت أن سهيلة، تلك الفتاة الجميلة والطيبة التي التقتها للمرة الأولى، تجلس بجوارها. وبعد انتهاء المحاضرة، استعجلت سهيلة للذهاب إلى مكتب بهاء، موظف المكتب. لاحظت سلمى أن سهيلة كانت تتردد على مكتبه في كل مرة تترك فيها المحاضرات، أو بعد انتهائها مباشرة، إذ كانت تخرج من القاعات وتتجه إليه. وفي الأيام الأخيرة، ظلت سهيلة تقضي ساعات طويلة بجانبه، بل أيامًا وشهورًا، على مدى سنوات عديدة.

تعرّفت سهيلة على زملائها في الدفعة نفسها، بمن فيهم اثنان من أصدقائها من مدرستها القديمة، باستثناء الزميلات من مدرسة أخرى. ثم طلبت منهم مساعدتها في إعداد الأبحاث والتقارير دون أن تبذل جهدًا أو تُساهم في العمل، ودون مراعاة مشاعرهم تجاهها. سمحوا لها بذلك على أمل كسب الأجر والثواب.

أما سلمى، فقد كانت طيبة القلب، تُحب مساعدة الآخرين، لكنها كانت ساذجة إذ وافقت على مساعدة سهيلة التي أرادت منها أن تُشجع موظفًا يُدعى بهاء على مساعدتها في الغش في المواد الدراسية. تطورت الأمور بشكل سيء، فشعرت سلمى أن سهيلة تُجبرها وتأمرها بإعداد التقارير والأبحاث دون أن تُدرك تعبها أو جهدها.

وذات يوم، ذهبت سلمى إلى مكتب بهاء، ودخلت فوجدت سهيلة جالسة تتصرف بتكبر دون مراعاة مشاعرها، تسعى وراء مصلحتها الشخصية فقط، وبحضور بهاء الذي كان يجلس أمامهما ويراقب الموقف. وقفت سلمى أمام سهيلة، ونظرت إليها بنظرة مليئة بالغضب لرفضها الاستمرار في مساعدتها، وقالت:

- عليكِ أن تتصرفي بمفردكِ، ويمكنكِ أن تحاولي إعداد الأبحاث والتقارير في الكلية بنفسكِ، فأنا لن أساعدكِ بعد الآن على الإطلاق.

كانت سلمى آنذاك منشغلة وتعاني من ضغوط نفسية وعقلية بسبب دراستها، فأصبحت ضعيفة نتيجة ضغط سهيلة المستمر عليها لمساعدتها. أما سهيلة، فلم تُحسن التصرف في دراستها، إذ حاولت إجبار زملائها الآخرين على كتابة التقارير والأبحاث باسمها دون أن تبذل أي جهد. كان ذلك نتيجة نشأتها في مدرسة قديمة مليئة بالفساد والإهمال، مما جعلها تتجاهل دراستها طوال الوقت.

كانت سلمى، التي بدت مرهقة ويائسة، تقف في قاعة الكلية بعد أن بكت أمام الجميع. اقتربت منها زميلتها مريم، فعانقتها لتطمئنها، مواسية إياها ومؤازرة لها، تقف إلى جانبها. كانت سهيلة تسخر من سلمى وتضغط عليها طوال الوقت، وكذلك موظف يُدعى بهاء، الذي عاملها بطريقة سيئة بعد أن أخبرته سهيلة عنها.

بادرت سهيلة بإثارة المشاعر، فوجدت أن الجميع يساعدونها حين طلبت منهم ذلك، فوافقوا بسهولة من أجلها. لكن ذلك زاد من تعب سلمى، إذ شعرت بنفسها أقل من المعتاد بسبب سهيلة. وبعد أيام قليلة، لاحظت سلمى، وهي واقفة بعد أن دخلت مكتب بهاء، أنها ألقت التحية عليه، لكنها وجدت بهاء ينظر إليها بنظرة مليئة بالكراهية والحقد، بارد المشاعر. عاملها بأسوأ معاملة، وعرفت سلمى سبب تلك النظرة السيئة: لقد حرّضته سهيلة ضدها، إذ كانت تتحدث عنها مع بهاء من وراء ظهرها بعد خروجها من مكتبه.

علمت سلمى فيما بعد أن بهاء يكرهها ويتظاهر باللطف معها طوال الوقت. لاحظت، بطريقة غريبة، أن بهاء يعامل سهيلة بمحبة مبالغ فيها، على عكس معاملته لباقي زملائهم المشتركين. شعرت سلمى بالعنصرية والتمييز، فتفاقمت المشكلات. مع مرور الوقت، لم تتوقف سهيلة يومًا عن تصرفاتها، بل استمرت في إجبار ندى، زميلتهم المشتركة في المجموعة الدراسية، على إعداد التسليمات والأبحاث والتقارير باسمها. وافقت ندى، لطيبة قلبها، ظنًا منها أنها تكسب الأجر، خصوصًا أن سهيلة لا تجيد القراءة والكتابة، فهي كسولة وتكره الدراسة بشدة بسبب الفساد والإهمال في مدرستها القديمة، مما أثّر على حياتها الدراسية.

كانت سهيلة تتصرف بأنانية وتكبر، تعامل الجميع باستعلاء، وتهتم بنفسها أكثر من الآخرين. كانت غامضة وذكية بطريقة مخيفة، تبدو أنيقة وجميلة بعد أن تضع المكياج على وجهها. خلال المحاضرات، كانت تفتح هاتفها وتتصفح الإنترنت، منشغلة به دون اهتمام بشرح الأساتذة. كانت تكتب اسمها في كشف الحضور في كل مرة، ثم تطلب الإذن من الأساتذة للمغادرة، غير قادرة على تحمل ساعات المحاضرات. بعدها، كانت تذهب إلى مكتب بهاء لتجلس إلى جانبه قبل انتهاء المحاضرات وفي كل مرة تحضر إلى الكلية، كانت تكره شرح المواد ولا تفهمها، ولم تحاول الدراسة يومًا في حياتها الدراسية. كانت تفكر في نفسها فقط طوال الوقت. أما سلمى، فقد ابتعدت عنها تمامًا مع مرور الوقت.

بعد مرور الأشهر السابقة، ظلت سهيلة تكره سلمى طوال هذا الوقت، ولم تحبها يومًا على الإطلاق. لم تفهم سلمى سبب كراهية سهيلة لها، إذ لم تجد سببًا لذلك، فتحملت الألم والقسوة بسببها. ذات يوم، ذهبت سلمى إلى دورات تدريبية، والتقت بأصدقاء مشتركين. وفي طريق عودتها إلى منزلها، وجدت ميكروباصًا، فصادف أن رافقتها سهيلة في الطريق نفسه وجلست سلمى بجانب سهيلة على المقعد الخلفي في الميكروباص، وكانت متوترة، غير قادرة على تحمل وجودها على الإطلاق ولاحظت سلمى أن هناك أمورًا مريبة تتعلق بالزملاء، فقررت أن تختبر سهيلة بسؤالها. نظرت إليها وقالت:

- أخبريني، هل فعل الطلاب والطالبات شيئًا دون علمي؟ أم أن هناك مشكلة تتعلق بتصرفاتهم المريبة التي لا أعرف سببها؟

ارتبكت سهيلة، واستغلت الفرصة لتظهر صريحة للمرة الأولى، دون أن تكشف حقيقة أسرارها أو حياتها أمام سلمى. أجابت وهي تنظر إلى سلمى، التي كانت جالسة بجانبها في صمت:

- نعم، لقد أخبروني بأمور سلبية عنكِ، فانتشرت الإشاعات والنميمة والغيبة في الكلية، لأنكِ تبدين مملة وسيئة وتقليدية كما يرى البعض.

لم تجب سلمى على كلام سهيلة، بل أدارت وجهها نحو النافذة. فابتسمت سهيلة في وجهها بعد أن أوقعتها في فخ الكذب والاستغلال. تأثرت سلمى بشدة، فتغيرت حياتها للأسوأ للمرة الأولى، دون أن تسعى لمعرفة حقيقة الإشاعات أو تدافع عن نفسها يومًا. أصبحت عابسة الوجه أحيانًا، إذ أخبرتها سهيلة أن الطلاب والطالبات يتحدثون عنها طوال الوقت بالإشاعات، دون أن تعلم هي بذلك أصلاً. زعمت سهيلة أنها لم تتمنَ الخير لسلمى يومًا، بل كانت سعيدة لمجرد اعتبارها شخصية مملة وفاشلة من وجهة نظرها. كانت سهيلة تغار من سلمى بطريقة شديدة لفترة طويلة. شعرت سلمى بالصدمة حين علمت من سهيلة أن الطالبات والطلاب يتحدثون عنها من وراء ظهرها بالنميمة والغيبة والإشاعات.

شعرت سلمى بالحزن والألم بطريقة قاسية ومؤلمة، إذ لم ترتكب خطأ بحق أحد يومًا. علمت مؤخرًا أن سهيلة لم تحبها قط، بل راهنت على فشلها بدافع الغيرة، خصوصًا بعد أن رفضت سلمى مساعدتها بسبب كسل سهيلة وإهمالها في دراستها بالكلية. تمكنت سهيلة من تحقيق ما تريده بالضبط، فهي تجيد استغلال بهاء والأساتذة لتنجح في دراستها دون أن تفشل يومًا، من غير أن تبذل جهدًا أو تتعب. كانت تحضر إلى الكلية للتسلية والمرح فقط.

كانت سهيلة ماكرة وذكية، تؤثر بقسوة على حياة الطلاب والطالبات. تظاهرت بالغباء أمام زملائها، لكنها كانت بارعة في جمع المعلومات منهم لصالح مجموعتها الدراسية. كانت ماهرة في التواصل مع الجميع في الكلية لتظل على اطلاع بأخبارها، دون أن تبذل جهدًا في دراستها. تجاهلت العمل الجاد، إذ ساعدها موظف يُدعى بهاء بالغش في الامتحانات طوال أربع سنوات، فكانت تجلس في الخلف بقاعات الجلوس دون أن يلاحظ الموظفون، خوفًا من الفضيحة أمام رئيس الكلية أو العميد، حفاظًا على سمعته وعمله.

عاملها بهاء كابنته أو صديقته المقربة، دون أن يتجاهل وجودها يومًا، فنجحت في جميع موادها بفضله دون أن تتعب أو تجهد في دراستها. مع مرور الوقت، استمرت سهيلة في إجبار ندى وإصدار الأوامر لها، محاولة إرغامها على كتابة التقارير والأبحاث باسمها. تراكمت الأمور، فتضايقت سلمى بشدة من سهيلة، التي استمرت في إصدار الأوامر لزميلاتها من مدرستها القديمة بشأن التسليمات والأبحاث والتقارير، دون أن ترغب في بذل أي جهد. ظلت سهيلة طالبة أنانية متكبرة، تسعى للنجاح في دراستها دون مراعاة مشاعر الآخرين.

خذلت سهيلة الطلاب والطالبات بسبب أنانيتها، ولم تفعل شيئًا سوى الجلوس بجانب بهاء طوال الأيام والأسابيع والشهور والسنوات الأربع. كانت سلمى مختلفة عن باقي الفتيات، فاستغلتها سهيلة أحيانًا وضغطت عليها بسبب غيرتها منها. شعرت سهيلة بالغيرة لأن سلمى كانت محظوظة في حياتها ببساطة، دون قلق في بعض الأحيان. لذا، حاولت سهيلة جعلها تشعر بأنها أقل من العادي، متجاهلة إياها كلما رأتها، دون أن تتحدث معها على الإطلاق. كانت سهيلة جبانة، غير قادرة على مواجهتها بصدق وشجاعة أمام الجميع، فتظاهرت بالقوة رغم ضعفها أحيانًا.

تعرفت سهيلة على طلاب آخرين لتجعلهم يساعدونها، مشجعة إياهم لضمان نجاحها. كانت تجيد التعامل مع الآخرين، وتتوسل إليهم أحيانًا. انفصلت عن حبيبها السابق، وخُطبت منه مرتين، ثم انفصلت عنه نهائيًا. بعد مرور الأشهر، اكتشفت أن خطيبها السابق خطب زميلة في السنة الثالثة بالكلية نفسها، بعد أشهر قليلة من انفصالهما. شعرت سهيلة بالغيرة من خطيبته الجديدة، التي تكبرها بسنتين، وظهرت باردة المشاعر، لكنها كانت تحمل الكثير من الأحاسيس السلبية. استغلت سهيلة الأساتذة لتنجح بسهولة، متظاهرة بالغباء أمام الجميع، رغم مكرها الدائم.

تخرجت سهيلة وندى ومريم في السنة الرابعة الأخيرة، بينما دُمرت حياة سلمى بسبب سهيلة، التي حرضتها وأجبرتها أحيانًا على فعل ما لا ترغب. غضبت سلمى من سهيلة، ولم تفهم سبب كراهيتها لها، ولا تصرفاتها المتكبرة التي منعت أي تواصل بينهما. شعرت سلمى بالظلم دون أن يدافع عنها أحد، فتألمت كل ليلة من شعور الألم والقسوة. اختفت سلمى دون أن تترك أثرًا، إذ بقيت في السنة الثالثة بينما تخرج الآخرون، بسبب الضغوط القاسية في حياتها، التي دمرتها سهيلة بسهولة.

بعد إعلان نتيجة السنة الثالثة في الجامعة، ذهبت سلمى إلى الكلية بعد تردد كبير، إذ حاولت مرات عدة لتعيد هذه السنة الصعبة للمرة الثانية، بينما تقدم زملاؤها. بكت لساعات طويلة، وتناولت طعامها بمفردها في قاعة الكلية دون رفقة زملائها القدامى. لم تتمكن من تحمل كل ذلك، فقد تخرج زملاؤها وتركوها وحيدة مع دفعة جديدة لم تعرفها من قبل. لم تستطع تكوين صداقات جديدة، إذ قطعت علاقاتها بالجميع وحظرت زملاءها على تطبيق واتساب وموقع فيسبوك.

لم ينتبه أحد لدخولها، فبدت منبوذة وغريبة الأطوار. اعتبرها البعض غبية وسيئة من وجهة نظرهم بسبب رفض المجتمع لها، وحسد الآخرين وحقدهم عليها. دُمر مستقبلها بسبب الأساتذة الذين كرهتهم بشدة، إذ ضغطوا عليها، فزادت معاناتها من مشكلات عائلية وضغوط نفسية. كانت الظروف القاسية في السنة الثالثة لا تُطاق، فلم يتحملها أحد بسهولة.

في هذه الأثناء، وجدت سهيلة عملاً جديدًا بعد تخرجها بأيام قليلة، لكنها لم تستقر فيه وكانت تبدأ عملاً ثم تتركه في كل مرة، إذ واجهت صعوبة في عملها الجديد للمرة الأولى، فلم تعتد على تحمل المسؤولية يومًا. ساعدت سهيلة ندى لإيجاد عمل جيد، إذ تواصلتا عبر رسائل على تطبيق واتساب.

بعد مرور عام، عادت سلمى إلى كليتها القديمة رغبةً في استلام شهادة تخرجها. وقفت سهيلة في قاعة الممر، تضحك أمام بهاء الذي كان يتحدث معها خارج باب مكتبه. عندما سارت سلمى في قاعة الممر، رأت سهيلة للمرة الأولى بعد زمن طويل، فشعرت بالدهشة والصدمة. تراجعت إلى الخلف، غير راغبة في مواجهة سهيلة نور الدين، ثم هربت منها واختبأت في مبنى قريب. جلست على كرسي، غير قادرة على تحمل ذكريات ماضيها المؤلم. وضعت يديها على وجهها، وبكت بدموع تساقطت من عينيها، إذ علمت أن سهيلة حصلت على عمل جديد وبدت سعيدة في حياتها بعد التخرج، على عكسها هي التي كانت لا تزال تكمل دراستها في السنة الرابعة، تعاني من قدرها الصعب

شعرت سلمى أن الحياة ليست عادلة بهذه البساطة، فقد عانت من الألم والقسوة وهي تعود إلى ماضيها السيئ بطريقة مؤلمة. مضت حياتها خلال الأشهر التالية منشغلة بدراستها الصعبة، حتى تخرجت بعد خمس سنوات بشق الأنفس. اختفى زملاؤها ولم يعدوا يتواصلون معها مرة أخرى. استمرت سلمى في البحث عن عمل، لكنها فشلت في إيجاده مرات عدة. لم تلتقِ هي وسهيلة مجددًا، إذ انتهت قصتهما دون صداقة يومًا. محت سلمى سهيلة من حياتها إلى الأبد، وبعد تخرجها بخمس سنوات، تلاشت الذكريات المؤلمة تدريجيًا.

الغيرة والحقد

يَبقَى العدوّ فِي قُلُوب الأصْدقاء ، وَتَذكَّر أنَّ الأنانيَّة تُولِّد الغيْرة وَتنهِي العلاقة فِي الخلاَف

مَايكِل بَاسِي جُونْسون

من السهل أن يُقال كلام زائف وراء الحقد والغيرة والكذب. إن المرء لا يعترف بأن تعابير الوجه قد لا تكون حقيقية عندما تتحول الحقيقة إلى كذب. لا أحد يشهد على الحقيقة المؤلمة مطلقًا، ولكن من الصعب أن تنتهي الصدمات والغدر عندما تختفي الصداقة. تصبح رحلة الحياة حينئذٍ تجارب فاشلة إلى الأبد، ولكن الحياة تستمر بالاستفادة من الأخطاء، فنستخلص درسًا قاسيًا ننهض بعده من جديد. تمضي الحياة بلا صديق، فنعيش بمفردنا بلا سند في تلك الحياة المريرة التي لم تعد كما كانت يومًا.

كانت هناك فتاة تُدعى شيماء، كان وزنها زائدًا وملامحها مصرية أصيلة، وُلدت في محافظة بني سويف، ولُقّبت بـ أم هاشم وقرر والدها تغيير اسمها الحقيقي إلى اسم والدته الراحلة تخليدًا لذكراها، لكنها ظلت تُعرف بـ أم هاشم، وهو لقب لا يتناسب مع صغر سنها. في بداية المرحلة الإعدادية، رأتها سلمى للمرة الأولى، حيث جاءت الطالبة الصغيرة المعروفة بـ أم هاشم برفقة والدها بعد انتقالها من مدرستها القديمة في شبرا إلى المدرسة الجديدة وتعرفت سلمى على شيماء، ونشأت بينهما صداقة استمرت سنوات خلال المرحلتين الإعدادية والثانوية، بل وامتدت إلى المرحلة الجامعية. كانت سلمى تثق بشيماء ثقة عمياء دون أن تدرك حقيقة ما يدور في داخلها، واعتادت التواصل معها، لكنها لم تشعر يومًا بالراحة في صحبتها، دون أن تعرف سبب ذلك الشعور. ورغم ذلك، استمرت صداقتهما مؤقتًا.

في بداية المرحلة الإعدادية، تقربت سلمى من شيماء، ودعتها لزيارة منزلها. وافقت شيماء، وقضتا وقتًا ممتعًا معًا بعد تناول الغداء. وبعد ساعات، أرادت سلمى أن توصل شيماء إلى منزلها. وأثناء صعود شيماء إلى الحافلة، لم تستطع سلمى أن تشعر بالراحة معها، وأيقنت أن إحساسها لا يكذب. بعد تفكير عميق، قررت سلمى الابتعاد عنها نهائيًا، فتوقفت عن التحدث إليها، ونست أمر شيماء التي أصبحت ثرثارة، تتحدث باستمرار عن شؤون عائلتها وأمور تافهة في حياتها اليومية.

مرت السنوات حتى اقتربت سلمى من توديع أيامها الأخيرة في المرحلة الثانوية. وفي يوم حفل التخرج بالمدرسة، جاءت أم هاشم برفقة أخيها الصغير. وفي الأيام الأخيرة من المرحلة الثانوية، كانت تلك اللحظات خاتمة لمسار صداقتهما.

كانت شيماء تعتمد على الغش في دراستها منذ المرحلة الابتدائية وحتى الثانوية، واستمرت في ذلك دون اجتهاد أو تعب، على عكس سلمى التي كانت تساعدها أحيانًا خلال الامتحانات. لم تكن شيماء تجيد القراءة والكتابة، وكانت تكره الدراسة. هي ابنة ضابط يعمل في قسم شرطة شبرا، وأمها ربة منزل عادية انتقلت من محافظة بني سويف إلى شبرا. كانت شيماء الكبرى بين ستة إخوة صغار. توفيت جدتها، ثم تزوج جدها من امرأة عجوز وُصفت بالشريرة بعد وفاة زوجته الأولى.

التحقت شيماء بنفس الكلية التي درست فيها سلمى، ففوجئت سلمى بوجودها هناك تقف مع زملاء قدامى من مدرستهم السابقة. سمعت شيماء من زميلة تُدعى ميريام، التي لها أخت تدرس في الكلية، أن الكلية تقبل الطلاب الحاصلين على دبلوم متوسط. عندما التقت شيماء بسلمى مجددًا، بدت متحمسة في بداية العام الدراسي. حاولت سلمى التعامل معها بسطحية، إذ كانت قد ابتعدت عنها سابقًا. وبعد انتهاء المحاضرات، كانت سلمى وشيماء وندى يجلسن في قاعة الكلية. بدأت شيماء تتحدث بإسهاب عن أمور منزلية، وكأنها ليست طالبة، بل أم صغيرة تجيد تدبير شؤون المنزل ومساعدة إخوتها الصغار. أخبرت ندى بتفاصيل حياتها الخاصة، من أقاربها إلى منزلها، وأدوات المكياج، والأعمال المنزلية، والملابس، وغيرها. لم تهتم شيماء يومًا بالدراسة، إذ كانت تركز على العمل بعد الحصول على الشهادة دون بذل جهد أو تعب.

كانت سلمى تجلس في صمت دون أن تنبس بكلمة، ولم تعد تطيق كلام شيماء وتصرفاتها. لم تحبها يومًا، بل كرهتها طوال هذا الوقت، حتى تمنت ألا تراها مجددًا. وذات يوم، تشاجرت شيماء في قاعة الكلية لأن سلمى رفضت مساعدتها في إعداد الأبحاث والتقارير المطلوب تسليمها إلى الدكتور. لم تكتفِ شيماء بذلك، بل انفجرت غضبًا حتى أصبح قلبها كالحجر مملوءًا بالحقد والغل. أعمتها الغيرة والحسد، فحاولت إجبار سلمى على مساعدتها دون رغبتها. رفضت سلمى بشدة، وأصرت على عدم تقديم المساعدة، إذ لم تكن ملزمة بكتابة التقارير والأبحاث باسم شيماء. أدركت سلمى أنها اتخذت القرار الصائب برفضها.

كانت شيماء كسولة، تتجاهل الالتزام والمسؤولية في الكلية، وتهتم فقط بالأعمال المنزلية. كان من الأفضل لها أن تترك الكلية نهائيًا، إذ لم تكن قادرة على مواصلة الدراسة. تمنت سلمى قطع علاقتها بشيماء نهائيًا، ولم تعد تثق بها مطلقًا. تجاهلت سلمى أعمال شيماء بسبب إرهاقها وجهدها الكبير الذي كاد يفوق طاقتها. وفي إحدى المرات، وقفت شيماء أمام سلمى تصرخ في وجهها بحضرة زميلات الكلية بصوت مرتفع، تنظر إليها بغضب. أما سلمى، فكانت جالسة في القاعة، تتصرف ببرود وتتجاهلها. أدركت سلمى أن شيماء فتاة تافهة وماكرة أحيانًا، تنكر ذلك طوال الوقت وتتظاهر باللطف. تسببت شيماء في إدخال سلمى في حالة اكتئاب وبكاء ونوبات هلع قبل مغادرتها الكلية، لأنها أرادت من سلمى أن تؤدي أعمال الكلية نيابة عنها. لكن سلمى لم تهتم، إذ رأت شيماء أنانية، لا تفكر إلا بنفسها وعائلتها دون مراعاة مشاعر الآخرين.

وما في داخلها يؤلمها بسبب ذلك، وسط حضور روان وندى ومريم اللواتي شهدن صراخ شيماء دون أن يدافعن عن سلمى، التي دخلت في حالة غريبة ومذهلة، فشعرت بانكسار روحها داخل قلبها، وعقلها كاد أن ينفجر من الجنون والغضب. أرادت أن تنتقم منها، فشعرت بالاضطراب والغيظ لأنها لم تستطع الدفاع عن نفسها، ولم تتمكن من أخذ حقها أمام الطلاب الآخرين يومًا بسبب طيبة قلبها. فأصبحت نادمة بقية الوقت. توقفت شيماء عن المشاجرة معها، ثم خرجت سلمى إلى خارج الكلية في نوبة هلع، وبكت على رصيف الحديقة القريبة من الكلية، ووضعت يديها على وجهها كي لا يُلاحظ أحد وجهها المتورم من التعب والمعاناة والألم. مع مرور الساعات الطويلة وسط أجواء الضجيج في الطريق العام، كاد المارة في حافلات المواصلات العامة أن يلاحظوها للحظة دون أن ترتكب خطأ يومًا. تعبت كثيراً في دراستها، فهي تستحق النجاح، ولن يضيع جهدها هباءً لأنها تشاجرت مع شيماء في قاعة الكلية. كان ذلك بسبب أم هاشم التي جعلتها كالعبدة من أجل نجاحها دون أن تفكر في تعب سلمى يومًا. إنها أنانية بطبعها، تفكر في نفسها أحيانًا بدلاً من التركيز على دراستها الجامعية. لا تحب الدراسة الجامعية، فلا بأس أن تواصل محاولاتها بالغش طمعًا في النجاح دون أن تجتهد أو تتعب يومًا.

كانت شيماء باردة المشاعر، دون أن تشعر بإحساس سلمى يومًا، لأنها ماهرة في إخفاء مشاعرها الخاصة ولم توضح شيئًا أبدًا. لهذا أصبحت ماكرة، استغلت الناس من حولها لمصلحتها دون مقابل، إذ لم تبالِ بمشاعر سلمى وتجاهلتها دون أن تخاف عليها. عندها، كانت سلمى غاضبة لأنها لم تكن لها علاقة بأعمال شيماء أساسًا. شيماء التي لم تتوقف عن الحديث عن أمور عائلتها وأقاربها وأخواتها معهن، ولا ذنب لسلمى إن لم يدافع عنها أحد إطلاقًا. لم تفعل شيئًا سوى الابتعاد عنها، لكن شيماء اقتربت منها لأجل مصلحتها بسبب أعمال الكلية. فشيماء هي المسؤولة عن أخطاء حياتها بسبب كسلها وعدم جهدها في أعمال الكلية، ورفضت أن تتحمل مسؤولية أعمالها داخل الكلية أبدًا. كان على سلمى أن تعتمد على نفسها دون الاعتماد على شيماء، لأنها بذلت جهدًا كبيراً بمفردها طوال الوقت.

وعانت سلمى الكثير من أوقاتها الصعبة، وتحملت ضغوطًا كبيرة أثّرت على نفسيتها. رفضت شيماء الاعتراف بأي شيء أصلاً، وأنكرت كل شيء، فهي لا تستطيع المواجهة أمام الجميع، وهي ضعيفة وأنانية بطبعها. حقدت وكرهت سلمى، وشعرت بالغيرة منها كثيراً طوال هذا الوقت، ولم تعترف بأخطائها في حياتها، ولم تعتذر لسلمى يومًا. تغيرت شيماء كثيراً بعد دخولها الكلية، ولم تعد كما كانت في السابق. بدأت تثرثر مع زميلتها ندى في قاعة الكلية بعد انتهاء المحاضرات أو قبلها كالمعتاد. وبدأنا سنتنا الثانية بعد أن نجحنا ونجح زملاؤنا المشتركون. انقسمنا إلى مجموعة متخصصة تتكون من زميلين شابين وأربع طالبات. بدأت شيماء تكره سلمى لأول مرة، ولم تعد لطيفة معها بسبب تفاهتها وغيرتها منها. بدأت تحتقرها وتتحدث عنها مع زميلاتها المشتركات، ندى أو مريم، خلف ظهرها دون أن تعلم سلمى أصلاً. لم تستوعب سلمى الأمر، وصُدمت منها، فهي لم تفعل شيئًا يؤذيها. ربما لم تنتبه إلى ذلك أبدًا، فلم تفهم لماذا تكرهها شيماء أو تحتقرها بشدة، لدرجة أنها عاملتها وكأنها الغبية.

اكتشفت سلمى أن شيماء تغار منها، وسمعت ذلك من خلال زميلتهما المشتركة ندى. لم تتخيل أبدًا أن شيماء كانت تغار منها طوال ثلاث سنوات في الكلية. اكتشفت صدمات عنها، وشعرت بخيبة أمل وخيانة منها، إذ طعنتها في ظهرها طوال ثلاث سنوات دون أن تدرك شيئًا. علمت بسلبيات شيماء عندما كانت طالبة في السنة الثانية، فلم تعد هناك صداقة أو ثقة. ابتعدت سلمى عنها، وفي السنة الثالثة تغيرت سلمى وتجاهلتها تمامًا، ولم تتحدث إليها أبدًا. كانت شيماء متسلطة اللسان، واستغلت الآخرين لأجل نجاحها لمصلحتها الشخصية. كانت شيماء عاطفية وكسولة، ولم تنجز التسليمات والتقارير بسبب انشغالاتها المنزلية وحفل زفافها. حاولت إجبار زملائنا المشتركين والتوسل إليهم لإعداد أبحاث بإضافتها إلى أسمائهم، بحجة أعذار مثل تعطل جهازها المحمول أحيانًا، أو اختلاقها أعذارًا أخرى، أو ادعائها الانشغال.

تتذكر ذات مرة أن أم هاشم لم تُتقن استخدام بريدها الإلكتروني أو إرسال رسائل التسليم إلى بريد الأساتذة، فتوسلت إلى سلمى لمساعدتها. وافقت سلمى، فذهبتا إلى قاعة الحواسيب في متجر قريب من الكلية وتولت سلمى مساعدتها في المتجر، وجلست على الكرسي.

وبدت سلمى منشغلة أمام الحاسوب، بينما كانت أم هاشم تقف بجانبها، تنظر إلى وجهها بعمق بنظرة نارية تحمل الحسد والغل. لم تشعر سلمى بالراحة معها أبدًا، وندمت على مساعدتها. لاحظت سلمى بالفعل تلك النظرة الغريبة، ففهمت فورًا شعور الغرابة من تصرفات أم هاشم. بعد انتهاء المساعدة، نهضت سلمى وأرسلت الرسالة إلى الأساتذة باسم شيماء عبر بريدها الإلكتروني الخاص. شكرت شيماء سلمى بعد أن ساعدتها، إذ كانت شيماء مقبلة على الزواج بعد خطبتها من شخص غير محترم وأحمق، أحد أقاربها البعيدين من قرية بني سويف، خلال إجازة العطلات عندما كنا في السنة الثانية. أدركت سلمى أن أم هاشم تستغل أي شخص للزواج منه دون حب، على غرار صالونات الزواج. كانت قد فسخت خطوبتها السابقة من جارها السابق، ثم تزوجت في إجازة الفصل الدراسي الأول من السنة الثالثة. وبعد فترة الدراسة في الفصل الدراسي الثاني، أنجبت طفلاً. لذا، كانت شيماء كسولة بسبب انشغالها في منزلها مع عائلتها، تطمع في الحصول على الشهادة الجامعية بناءً على نجاحها دون جهد أو تعب. لكن شيماء لم تكن ذكية يومًا، ولا لحظة واحدة، فهي ما زالت أمية وجاهلة أساسًا، ولا تجيد كتابة الكلمات كما يفعل الناس العاديون، بفضل الغش بكل بساطة. يا لها من إنسانة سيئة، ممتلئة الجسم بشكل لا يُطاق، تُشبه الشيطان في هيئتها. إن أم هاشم جبانة، مهما أنكرت حقيقة سلمى طوال هذا الوقت، أو أخفت الحقائق بداخلها. تجد سلمى صعوبة في فهم أم هاشم، لأنها لا تستطيع التوفيق بين دراستها وحياتها الزوجية، فهي منشغلة بعد زواجها. وفي كل مرة، تغادر فور انتهاء المحاضرات.

ولم تَعُدْ تذكُّرُ شيئًا من فترة دراستها، فما زلتُ أعتبرها أسوأ زميلة عرفتُها. ندمتُ بالفعل طوال هذا الوقت، وبعد انتهاء السنة الثالثة، رسبتْ سلمى فجأةً، فظهرت حقائق الناس على طبيعتها. صُدمتُ من ردود أفعال زملاء الكلية، فقد كانوا يكرهونها ولا يحبونها، ويتحدثون عنها من وراء ظهرها أحيانًا، ويبتعدون عنها دون أن تفعل شيئًا سوى الصمت والبكاء. واجهتْ سلمى تصرفاتٍ غريبةً أمام الجميع بسبب شفقتهم عليها، إذ بدأوا يعاملونها لأول مرة بلطف، لكن بنظراتٍ حزينةٍ ومزيفة. كانوا يظنون أن بإمكانهم معرفة كل شيء عنها، والحقيقة أنهم لا يستطيعون فهمها أكثر مما كانوا عليه سابقًا، وأنهم أصلاً لا يعرفون كل شيء عن حياتها الصعبة.

أما أم هاشم، فقد بدت سعيدةً ومرتاحةً، وكأنها تخلصت منها. شعرتْ بالغيرة منها في كل شيء طوال الوقت، واكتشفتْ أن سلمى فشلت في دراستها، لكنها تظاهرت بالحزن عكس دوافعها الخفية ونيتها غير الطيبة أمام الجميع. كانت سلمى على وشك الانتحار أو الموت من الحزن والأسى الأكبر في حياتها، فكانت تبكي كل ليلة، ولم تفهم سبب هذا الانقلاب المخيف في حياتها. تساءلت: لماذا يحدث لها ذلك؟ هل ارتكبت أخطاءً في غفلة منها، فدفعت ثمنًا باهظًا بسبب القسوة وعدم التسامح والخصام والابتعاد عن الجميع؟ أصبحت تلك الوحيدة التي ذهبت إلى مكان بعيد عن الجميع، مخفيةً وجودها، وقررت أن تُقسم ألا تسامح أحدًا ممن أفسدوها وشوهوا روحها. قطعت علاقتها بهم إلى الأبد، ومحت وجودهم من حياتها في لحظة واحدة، وخاصة الدكتورة في فترة دراستها، التي دمرت روحها وجعلتها تشعر بالفشل في عينيها، ففقدت ثقتها بنفسها بسبب الجميع الذين قللوا من شأنها. كانت في نظرهم أقل من العادي، فخسرت كل شيء: الأصدقاء والدراسة لأول مرة. انقلبَت حياتها رأسًا على عقب، ودمرها الجميع وحسدوها وشوهوا روحها البريئة وأفسدوها وتخلوا عنها، ولم يعودوا يتذكرونها أبدًا. تلك اللحظة القاسية كسرت قلبها.

أصبحت سلمى متشائمةً وحزينةً، وتحولت حياتها الجميلة إلى حياة مملة مليئة بالظلام، ولم تَعُدْ تكون معهم مرة أخرى. وبعد سنة ونصف، ظهرت سلمى وقد تغيرت، وبانَ على ملامحها الحزن. اكتشفت أن صديقاتها الأخريات خذلنها مرة أخرى أمامها، وكسرن روحها مجددًا. وفي يوم من الأيام، بينما كانت تسير نحو الممر المؤدي إلى قاعة الكلية، كانت أم هاشم تقف في القاعة تلوّح بيدها وتلقي التحية. لوّحت نحو سلمى، ونظرت إليها، ونادَتْها، وأشارت إليها بالجلوس بجانبها. لاحظت سلمى حركاتها، لكنها تجاهلت وجودها لأول مرة، وكأن شيئًا لم يحدث. ابتعدت عنها مسافة قصيرة، فوقفت خلف قاعة الكلية كي لا تراها مجددًا بين الناس. كانت تشعر بالألم والقسوة، وأصبحت هي نفسها قاسية.

وكرهتْ أم هاشم أن شيماء ما زالت سعيدةً برسوب سلمى، فهي تشعر بالغيرة منها منذ فترة طويلة. انقلبت حياة سلمى رأسًا على عقب بسبب الحسد والحقد من الجميع حولها. وبعد مرور سنة واحدة في الفرقة الرابعة، ظهرت سلمى قويةً، ونهضت من جديد، وقررت أن تواجه الجميع. أكملت دراستها بعد توقفها لسنة واحدة، ولم تَعُدْ سلمى ضعيفةً لأول مرة. أصبحت تهزم كل من حولها ممن حاولوا إحباطها باستمرار، فتجاهلتهم ببساطة.

أما شيماء، فقد رسبت في السنة الرابعة، وأصبحت مديونة بسبب زوجها الذي بدأ يخسر المال، ولم يعد يكسب شيئًا على الإطلاق. اضطرت شيماء للعمل في مصنع كموظفة خياطة قريب من منزلها الزوجي بسبب ظروفها المالية الصعبة. أما زوجها، فقد أصبح عاطلاً عن العمل بعد أن طُرد من وظيفته.

في أول يوم دراسي بالفرقة الرابعة، كانت سلمى جالسةً على الدرج أمام قاعة المحاضرة، تشعر بالتوتر والقلق مع ظهور شيماء، زميلتها القديمة. عادت ذكرياتها إلى الوراء كشريط يمر بحياتها، بين مدرستها وزميلتها القديمة. عادت شيماء وقد زاد وزنها، فجلست على الدرج بجانب سلمى، لكن سلمى تجاهلت وجودها دون أن تهتم بها. تواصلت سلمى مع زملائها من الدفعة الأصغر، ولم يخطر ببالها على الإطلاق أنها قررت مواجهة شيماء أمامها بعد انتهاء المحاضرة. فقالت، وهي تنظر إليها بعمق، أمام أم هاشم التي كانت جالسة بجانبها:

- أريد أن نتحدث معًا عن أمر هام بعد انتهاء المحاضرة.

توترت شيماء، ونظرت إليها، وقالت لها بعد صمت طويل:

- حسنًا، سأنتظرك بعد انتهاء المحاضرة.

انتهت المحاضرة، وقبل أن تغادر شيماء إلى مكتب بهاء لتنتظر سلمى، مر وقت طويل لأن سلمى لم تنتهِ من محاضراتها خلال الساعات القليلة، على عكس شيماء. لكن شيماء لم تَعُدْ تتحمل الانتظار، فغادرت إلى خارج الكلية بسبب انشغالها بأعمالها المنزلية. ذهبت سلمى بعد انتهاء محاضرتها إلى مكتب بهاء، فأخبرها أن شيماء لم تكن موجودة بسبب انشغالها بأعمالها المنزلية، وأن عليها الاعتناء بطفلها في المنزل. فهمت سلمى الموقف، لكنها تضايقت من شيماء، إذ كانت متأكدة تمامًا أن شيماء لن تتحمل المواجهة.

بعد أسبوع، دخلت شيماء القاعة بينما كانت سلمى جالسةً في قاعة الكلية. نهضت سلمى واتجهت نحوها، فقالت لها شيماء:

- أعتذر جدًا إن لم أستطع الانتظار بسبب انشغالي بطفلي، فلا بد أن أعتني به بالطبع ولم أعد أستطيع التحمل بعد أن مرت عدة ساعات، فذهبت إلى منزلي.

ردت سلمى:

- لا بأس يا شيماء، وليس لدي أي مشكلة على الإطلاق.

تفهمت سلمى الموقف، وصبرت عليها، وحاولت أن تتظاهر بالقوة. كانت سلمى تسعى لمسامحة شيماء لأول مرة، فمنحتها فرصة ثانية. حاولت مساعدتها في أمور الكلية، وفي العديد من الواجبات الدراسية وغيرها. لكنها لم تتخيل أبدًا أن قلبها الطيب سيسامحها بهذه السهولة. انشغلت شيماء بأعمالها المنزلية معظم الوقت، وكانت تتواصل مع سلمى لتعرف أخبار الكلية، والواجبات الدراسية، والتقارير، والكشوف، والفواتير المتعلقة بمصروفات دراستها، وغيرها من شؤون الكلية. استمر التواصل بينهما، وبعد مرور عدة أشهر، قررت سلمى اختبار شيماء، إذ أرادت منها مساعدتها في أعمال الحاسوب. لكن شيماء اختلقت أعذارًا متكررة، وظهرت حقيقتها، وانكشف قناعها الحقيقي عندما واجهتها سلمى عبر رسائل الواتساب. فقالت لها سلمى، بعد أن أرسلت رسالة موجهة إليها:

- لقد ساعدتكِ في كل شيء يتعلق بدراستك، لكنكِ لم تساعديني يومًا قط. لم أتردد في مساعدتكِ أبدًا، لأنني أردت أن أكسب الأجر من أجل الله.

ردت شيماء:

- لا، صدقيني، أنا منشغلة بأعمالي المنزلية، ولديَّ مسؤوليات أكبر في منزلي، ولم أستطع التركيز على دراستي، يا سلمى. أنا موافقة على مساعدتك، ويجب أن نتفق ثم نلتقي في الكلية لأساعدك، فليس لديَّ أي مشكلة.

لكن سلمى حظرتها بعد أن سئمت من أعذارها الواهية المتكررة. كانت نادمة على أنها سمحت لنفسها بمساعدة شيماء دون مقابل يومًا. تمنت سلمى أن تكون شيماء صادقة لتتفاهم معها، لا أن تكذب عليها. حاولت شيماء التواصل معها، لكنها لم تستطع الحصول على إجابة منها بعد أن حظرتها سلمى. لم تكن شيماء تعلم أن سلمى حظرتها، فسألت الأصدقاء المشتركين في مجموعة الواتساب عن سلمى، فوجدوا رسالتها.

في أيام الكريسماس، ظهرت شيماء ووصلت إلى باب الكلية، فوجدت سلمى جالسةً على الكرسي. كانت سلمى قد وصلت مبكرةً إلى الكلية، فانتظرت وصول زملائها الأصغر سنًا. انتبهت سلمى لوجود شيماء، لكنها تجاهلتها وأدارت وجهها. اقتربت شيماء، وكانت تبدو حائرةً وفضوليةً للغاية تجاه سلمى التي كانت تتجاهلها. نهضت سلمى من الكرسي، فوقفت شيماء أمامها، ونظرت إليها بقلق، وسألتها بنظرة مليئة بالحيرة:

- لقد أرسلت إليكِ رسائل، لكنكِ لم تجيبي عليَّ أبدًا، هل هناك مشكلة؟

كانت شيماء تبحث عن إجابات لأسئلتها المليئة بالفضول، لكنها لم تستطع يومًا أن تحب سلمى، وكانت تعتبرها صاحبة مصلحة تسعى وراء رغباتها. أرادت شيماء أن تعرف ما يدور في ذهن سلمى، لكنها لم تكن لتخبرها، إذ ظنت أن بإمكانها إخفاء أسرار نواياها وخفاياها. لقد خدعت شيماء سلمى والجميع حولها باستمرار بذكائها. قالت سلمى، بعد أن بدت قوية لأول مرة، معترفة بحقيقة الموقف الصعب:

- نعم، لكنني لا أريد التواصل معكِ يومًا. لم أعد أرغب في أن نتحدث معًا بالطبع.

أجابت شيماء، وهي تقف حائرة أمام سلمى التي كانت تبدو صلبة وصارمة:

- لماذا؟ إنني لم أفعل شيئًا!

أكملت كلامها، ونظرت إليها وقالت:

- زملاؤنا الصغار أخبروكِ أنني سيئة وفعلت شيئًا يؤذيكِ، أليس كذلك؟

أدارت سلمى وجهها، ونظرت إلى المكان بعيدًا، وتضايقت من كلام شيماء، إذ لم تستطع أن تعرف ما يدور في أفكارها. لم تَعُدْ ترغب في استمرار علاقة الصداقة بينها وبين شيماء، وقد سئمت من كذب شيماء المتواصل. قالت سلمى، وقد بدا الحزن على ملامح وجهها، وهي تنظر إلى شيماء:

- أحقًا لا تتذكرين على الإطلاق ما فعلتِه في السنة الثالثة؟ أفعالكِ السيئة تجاهي طوال هذا الوقت، على مدى خمس سنوات حتى الآن؟

أصبحت شيماء مرتبكة، وبدت علامات الاضطراب واضحة على ملامحها. لم تستطع الاعتراف، لكنها بدأت تتذكر شيئًا فشيئًا من الماضي. كانت سلمى عالقة في ماضيها المؤلم المليئ بالألم والمعاناة والحزن. فقالت شيماء، وهي مضطربة ومصدومة:

- لكنني لم أستطع أن أتذكر كل شيء فعلته بكِ. لقد نسيت الماضي بسبب انشغالي، ولم يخطر ببالي يومًا.

اندهشت سلمى مما قالت شيماء، فلم تستطع لأول مرة أن تميز بين صدقها وكذبها. حاولت أن تقرأ لغة جسدها، وأرادت أن تفهمها، لكنها لم تجد إجابة. شعرت أنها ربما بالغت في تفكيرها بمواضيعها بمفردها طوال هذا الوقت دون أن يفكر أحد بها. وجدت نفسها في موقف صعب في حياتها لأول مرة، وبدت شاردة الذهن بعد أن عادت إلى ذكرياتهما الماضية المليئة بالأسى والحزن والمشكلات والخداع والخذلان.

قالت سلمى، وهي عابسة، بعد أن نظرت إليها:

- لقد تحدثتِ مع أصدقائكِ من وراء ظهري، وجعلتني كالعبيدة، إذ أجبرتني على فعل ما لا أرغب لأجلكِ. لقد كرهتني طوال هذا الوقت، وشعرتِ بالغيرة والحقد مني، ثم طعنتني من وراء ظهري، لأنكِ اختلقتِ الأكاذيب عني.

أصبحت شيماء مصدومة من كلام سلمى، وفهمت ما قالته، لكنها لم تحاول يومًا تصحيح كلامها الحقيقي، إذ كانت ستكذب ولن تعترف أمامها على الإطلاق. تماسكت سلمى بشدة، وحاولت الدفاع عن حقها الضائع، وأكملت كلامها بعد أن نظرت إليها بنظرة مليئة بالكراهية:

- ثم صرختِ في وجهي أمام زملائنا القدامى، وكسرتِ خاطري وروحي. لن تكون بيننا صداقة يومًا ما دمتُ حية. لقد دمرتني، حسدتني، وفعلتِ كل ما يؤذيني، ثم اختلقتِ الإشاعات والنميمة والغيبة والأكاذيب، ولعبتِ بصورتي لتبدي سيئة أمام الناس. كل تلك المواضيع لا أساس لها من الصحة، وكلامكِ مليء بالكذب. ثم أخبرتِ الجميع أنكِ قلتِ لهم إنني لم أساعدكِ يومًا، وأنني أصبحتُ متكبرة. قلتِ لهم كل شيء، أليس كذلك؟

أنكرت شيماء ما قالته سلمى، ورفضت الاتفاق مع رأيها الصريح، فبدت جبانة وضعيفة. لن تواجهها يومًا، لأن سلمى كشفت حقيقتها، ووقعت شيماء في حقائق مؤلمة لها، فستظل تهرب منها دائمًا، ولن تستطيع الدفاع عن نفسها على الإطلاق. فقالت شيماء، بعد أن نظرت إليها بنظرة مليئة بالخوف:

- لن أصدق يومًا أنني فعلتُ هذه الأمور في الماضي.

أكملت كلامها، وهي تنكر حقيقة الموقف:

- لا، لم أفعل شيئًا على الإطلاق. لقد أسأتِ الظن بي، ولم يخبرني أحد يومًا بشيء، يا سلمى. لقد نسيتُ كل شيء، فلم أتذكر بالطبع، لأنني منشغلة في منزلي، وقضيتُ وقتي هناك. لكنني أريد أن نسامح بعضنا ونتصالح معًا في علاقتنا. فماذا أفعل، يا سلمى؟

صُدمت سلمى من إنكار شيماء، بعد أن لعبت دور الضحية بنفسها دون أن يحدث شيء. حاولت سلمى أن تأخذ حقها وتدافع عن نفسها، لتستحق العيش بانتصار في مواجهة الأشخاص السامين والمؤذين مثل شيماء، الذين يقيمون علاقات زائفة تُسمى علاقات "توكسيك"، أي مؤذية وسامة. قالت سلمى، بعد أن بدت قاسية وقوية أمامها، وقد عزمت على قبول الاعتذار لترتاح من ماضيها المؤلم:

- حسنًا، أريدكِ أن تعتذري لي عن أفعالكِ السيئة التي ارتكبتِها طوال الوقت، لأرتاح من كل شيء. لكنني أعرف كيف تظهرين ضعيفة، ويبدو ذلك واضحًا في لغة جسدكِ، لأنكِ لن تستطيعي الاعتراف أبدًا أمامي.

أجابت شيماء، بعد أن رفضت، وظهرت ضعيفة ومترددة أمامها:

- لا، لن أعتذر أبدًا. لم أستطع أن أفعل أي شيء يؤذيكِ، يا سلمى.

ردت سلمى:

- حسنًا، لا أريد أن نتواصل مرة أخرى أو نلتقي مجددًا أبدًا. لقد كرهتكِ طوال هذا الوقت. انتهت ذكرياتنا المؤلمة، وصداقتنا الزائفة، وحكايتنا الماضية. انتهى كل شيء. وداعًا، يا شيماء.

أجابت شيماء:

- حسنًا، يا سلمى.

قطعت سلمى علاقتها بشيماء منذ أن واجهتها وتشاجرت معها في بداية السنة الجديدة. اكتشفت سلمى أن شيماء ماهرة في فن الإنكار والكذب، وتأكدت من ذلك بطريقة صحيحة بعد مواجهتها. أصبحت سلمى قوية بعد أن واجهتها لأول مرة، وحاولت أن تكون صادقة مع الجميع حولها باستمرار، ولم تجد فن التصنع إلا نادرًا. ثم استدارت سلمى بعد أن تركتها لأول مرة، وسارت عبر مبنى الموسيقى، وانتهت علاقتهما إلى الأبد. جلست سلمى على السلالم، وبدت شاردة الذهن، ولم تَعُد تتواصل مع شيماء مرة أخرى. عزمت سلمى على إنهاء علاقتهما مدى الحياة، وتخلصت من عبء ثقيل كان يكبل حياتها. بعد أن انتهت علاقتها بشكل نهائي، أصبحت راضية، وتحسنت حالتها قليلاً.

كانت شيماء غاضبة، وقطعت سلمى علاقتها بها نهائيًا. جلست سلمى على الكرسي بعد أن سارت عبر قاعة الكلية، فقررت شيماء نشر الإشاعات الكاذبة والأكاذيب والغيبة والنميمة حول سلمى. هذا ما حدث بالفعل. مضت سلمى في حياتها إلى الأمام، ونسيت كل حكايتها الماضية، واستمرت دون أن تنظر إلى الخلف. لم تلتقِ بأصدقائها مرة أخرى منذ توقفت عن التواصل معهم، فاكتفت بنفسها دون أن تحتاج إلى أصدقاء على الإطلاق.

منذ أن قطعت سلمى علاقتها بشيماء، نشرت شيماء الأكاذيب والغيبة والنميمة حول سلمى، وأخبرت جميع زملائها عنها داخل الكلية، بدافع رغبتها في الانتقام منها. أصبح الزملاء يبتعدون عن سلمى بالفعل طوال الوقت، بينما أصبح لشيماء أصدقاء كثيرون داخل الكلية.

المصلحة والاستغلال

يَأتِي اَلشَّر الموْجود فِي العالم دائمًا مِن الجهْل ، وقد تُلْحِق النَّوايَا الحسَنة ضررًا مِثْل الحقْد إِذَا كَانَت تَفتَقِر إِلى الفهْم

أَلبِرت كَامُو

سلمى، طالبة في السنة الأخيرة بكلية الحاسبات والمعلومات بجامعة عين شمس، عانت سنوات طويلة من الألم والتعب والجهد والسعي، إذ كانت تحلم بأن تصبح مبرمجة. عاشت حياة قاسية، مليئة بخيبات الأمل من الأصدقاء، منذ أيامها المدرسية وحتى مرحلتها الجامعية. قاومت بمفردها، مؤمنة بروحها، حتى ارتكبت أخطاء بحق الآخرين، فأصبحت نادمة على أفعالها الخاطئة التي دفعت ثمنها. لم يكن لها ذنب في سوء اختيارها للأصدقاء المشتركين، لكنها تعلمت من أخطائها، فأصبحت قوية وبطلة تحارب، متجاوزة ماضيها إلى حاضرها.

مع إعلان مواعيد أول أيام العام الدراسي الجامعي، ذهبت سلمى في اليوم الدراسي الأول إلى مبنى الموسيقى بمفردها، دون زملائها القدامى، لحضور المحاضرة. جلست في المدرج أمام المحاضر، في ساعات الصباح الباكر. وبعد انتهاء شرح المحاضرة في المادة المحددة، كانت سلمى معتادة على التواجد برفقة زملائها، رغم عدم رغبتها في صحبتهم، إذ لم تكن تعرف كيف تعتمد على نفسها داخل الكلية بدونهم يومًا. في تلك الأثناء، كان زملاؤها الصغار من دفعتها الحالية متحمسين، يتواصلون فيما بينهم، يضحكون ويتحدثون في المدرج الأمامي، دون تركيز على شرح الدكتور، على عكس سلمى التي كانت وحيدة وحزينة. راقبتهم وتألمت لفقدان زملائها القدامى الذين أصبحوا منشغلين بحياتهم، بين العمل والخطوبة والزواج، بينما هي لا تزال في بداية طريقها.

عادت سلمى إلى السنة الرابعة بعد نجاحها في السنة الثالثة، مع نفس الدفعة التي درست معها العام المنصرم، وزملائها الصغار الذين يصغرونها بسنة أو سنتين فقط. لكنها لم تتعرف على فتاتين من مدرسة أخرى ضمن مجموعة زملائها الصغار، التي تتكون من تسعة شباب وفتيات. بعض هؤلاء عرفتهم منذ المرحلة الدراسية في مدرستها القديمة في الماضي، لكنها لم تحب زملاءها الصغار على الإطلاق، ولم تستطع أن تثق بهم أو تتقبلهم للحظة واحدة. أصبحت مختلفة عنهم، ربما لأنها تحمل شيئًا من العقد النفسية والعقلية، إذ نضجت وأصبحت قوية، ليست مجرد فتاة غريبة الأطوار، بل حساسة بشكل عميق لا يوصف.

في ليلة أول أيام العام الجامعي، شعرت سلمى بالقلق والتوتر، ولم تنم جيدًا بسبب خوفها من المصير المجهول في المستقبل. لكنها تعلمت أن تتمسك بالصبر، مؤمنة أنها ستتجاوز، شيئًا فشيئًا، الصعوبات التي تواجهها. لم تكن راضية عن الوضع الحالي، وكانت تقضي يومًا كل أسبوع مع زملائها في مدرسة معينة للتدريب العملي. وفي إحدى اللحظات، ظهرت الفتاة الجميلة ريم خالد، التي كانت تجلس بجانب أصدقائها. لاحظت ريم أن سلمى شاردة الذهن وحزينة، وهي تقف بجانب الممر في قاعة المدرسة بالأسفل، صامتة، بعيدة عن الجميع. اقتربت ريم منها، ونظرت إليها بنظرة مليئة بالفضول.

سألتها ريم خالد، بعد أن وقفت أمامها:

- لماذا تبقين وحيدة طوال الوقت؟ إنني أريد أن تنضمي إلينا داخل الفصل لتكوني معنا في مجموعة زملائنا، يا سلمى.

فأجابت سلمى بعبوس ونظرت إلى ريم بنظرة مليئة باللامبالاة:

- أحب أن أبقى وحيدة وبعيدة، فأنا لا أريد أن أكون بجانبكم على الإطلاق. لست معكم ولن أصبح صديقة لزملائنا الصغار.

أثارت إجابة سلمى فضول ريم، فحاولت أن تفهم سبب عبوسها. لم تكن ريم مقربة من سلمى على الإطلاق، وكانت علاقتهما مجرد زمالة دراسية سطحية. واصلت ريم حديثها، ناظرة إلى سلمى التي بدت هادئة:

- ما الخطب، يا سلمى؟ أريد أن أعرف، فأنا أتحدث إليكِ.

لم تجب سلمى على كلام ريم، بل أدارت وجهها إلى الأسفل بجانب الممر، متجاهلة إياها وكأنها غير موجودة في المكان ذاته. لم تنطق بكلمة، بل اكتفت بالصمت. تركتها ريم وحيدة خارج الفصل، ودخلت إلى الداخل لتجلس مع أصدقائها.

ريم خالد، ابنة رجل أعمال، كانت امرأة ذات مظهر مثالي، بوجه مشرق وعينين خضراوين فاتحتين، تتزين بابتسامة ضيقة تخفي عيوبًا لم تكن ظاهرة. كانت تبدو وكأنها تخفي أسرارًا غامضة، وروحها لم تكن تعكس جمال مظهرها الخارجي. لم تكن صادقة أو لطيفة كما يظن البعض. والدها يملك شركة معروفة، وإخوتها الكبار لم يكملوا تعليمهم بعد المرحلة الإعدادية، في عائلة ثرية. أما والدتها، فكانت تشبهها، وكأنها صديقة روحها. تزوجت والدتها في سن مبكرة، وتركت دراستها، وكذلك فعلت ريم، إذ تزوجت منذ السنة الثانية في الجامعة من حسين، موظف مصمم جرافيك في البنك الأهلي المصري. حسين خبير وماهر في تصميم الفوتوشوب، ذكي وعملي، يعيش مع زوجته في التجمع الخامس. لديهما طفل يُدعى يونس، يبلغ من العمر سنتين ونصف السنة. كثيراً ما كانت ريم تزور منزل والديها في حي شبرا، لكنها لم تكن تجيد القراءة والكتابة بطلاقة، إذ نجحت في مراحلها الدراسية بالغش منذ الابتدائية حتى دخولها الكلية. على عكس زوجها، الذي أجاد القراءة والكتابة بفضل والدته المتدينة المنتقبة، التي ربته على العلم والأخلاق والدين الإسلامي. تخرج حسين من كلية الهندسة بجامعة حلوان.

بعد مرور أسابيع قليلة، تم تقسيم الطلاب إلى مجموعتين فقط، الأولى والثانية، بناءً على عدد الأفراد في مادة الكلية. تم تجميع الفتيات مع قائدة المجموعة بعد تصنيفهن حسب الأصدقاء المشتركين، وفقًا لمصالحها الشخصية. بعد انتهاء المحاضرة، اتخذت قائدة المجموعة قراراتها حسب مزاجها، دون مراعاة مشاعر الآخرين. وقفت أمام زملائها في الممر الطويل، وكان خالد وثلاثة من الشباب معها. وجدت سلمى إلى جانب ريم في المجموعة الثانية، وكانت متضايقة لأنها لا ترغب في العمل مع خالد والشباب الثلاثة. كانت سلمى تعلم منذ فترة طويلة أنهم لا يهتمون بالعمل الجاد في المواد الدراسية، وكذلك ريم، التي لم تفهم كيفية العمل الجماعي أو بذل الجهد في المهام. لكن سلمى اختارت أن تعمل على مهام المادة بمفردها سرًا، دون علم زملائها.

اعترضت ريم على وجودها في المجموعة الثانية، إذ ظنت أن سلمى جاهلة وغير كفؤة أمام الزملاء. تجاهلتها قائدة المجموعة الأولى، وسمعَت اعتراض ريم بحجة عدم وجود مكان شاغر. فقالت قائدة المجموعة، ناظرة إلى ريم التي بدت غاضبة لوجود سلمى:

- سلمى تجيد العمل في مهام المواد بمفردها، وستساعدكم جميعًا معًا، يا ريم.

أجابت ريم بحدة:

- لا، لن أوافق على الإطلاق! إنها لا تجيد العمل على الحاسوب. قالت لي ذلك بنفسها عندما سألتها، وأخبرتني أنها ليست ماهرة. أريد أن أكون عضوة في المجموعة الأولى معكم!

رفضت قائدة المجموعة طلب ريم مرات عديدة، إذ لم ترغب في الموافقة بناءً على مصلحتها الشخصية. استسلمت ريم، التي بدت غاضبة بنظرة شريرة، أمام سلمى التي ظهرت باردة المشاعر، صامتة، متجاهلة إياها. أدركت سلمى أن زملاءها أشخاص لا فائدة منهم، غير ناضجين في تفكيرهم. أنهت سلمى عملها المنفرد، ثم عادت إلى منزلها مسرعة، إذ أرادت إتمام عملها مبكرًا. سجلت أعمالها باسمها دون ذكر أسماء زملائها، متظاهرة بعدم امتلاكها المهارة لتبدو جاهلة أمامهم في مهام المادة. أخفت عنهم بعض الأمور خوفًا من الحسد، الذي كاد في المرات السابقة أن يدمر مستقبلها، بعدما نُشرت قصتها الملهمة في صحيفة إلكترونية وورقية، مما جلب لها شهرة على مواقع التواصل الاجتماعي.

في يوم التقييم داخل قاعة الحاسوب، تظاهرت سلمى، برفقة ريم وثلاثة من الشباب، أمام الأساتذة بأنها لم تساهم في العمل الجماعي، وأنها أكملت عملها المنفرد فقط. جلست سلمى، وهي تبدو متوترة للغاية، بجانب المجموعة الثانية، مخفية عملها المنفرد عن زملائها الصغار، خوفًا من أن يسيئوا الظن بها أو يعتقدوا أنها أنانية ومتعجرفة. أما المجموعة الأولى، فقد حصلت على درجات التقييم، بينما لم تحصل المجموعة الثانية على أي درجات، إذ لم يدرك أفرادها قيمة العمل الجماعي. كانت المجموعة الأولى مكونة من الطالبات فقط، ونظرن إلى ريم، التي انهارت، وسلمى برفقة الشباب الثلاثة بنظرات تملؤها الشفقة والاحتقار، بسبب فشلهم في الحصول على الدرجات.

توسلت ريم إلى الدكتورة أمام الجميع لتمنحها فرصة ثانية لإعادة التقييم، لكن الدكتورة رفضت. انهارت ريم، وظهرت بمظهر مرهق وحالة يرثى لها. وجدت نفسها وسط نظرات الاحتقار والشفقة من زملائها، فنزلت إلى أسفل القاعة، وغادرت الصالة. شعرت بالخجل من نفسها، وأجهشت بالبكاء في أرضية الصالة داخل الكلية. ركضت سلمى وراء ريم، نازلة السلالم مسرعة، ووقفت بجانبها، محاولة مواساتها. لكن ريم، التي كانت منهارة، صرخت متألمة أمام سلمى، التي بدت قلقة عليها. وجهت ريم إليها كلامًا جارحًا للمرة الأولى، فقالت بصوت مرتفع، وهي غاضبة، موجهة حديثها إلى سلمى التي بدت مصدومة من ردة فعلها:

- ابتعدي عني! لا أريدكِ أن تكوني بجانبي! لا أرغب في العمل معكِ، فأنتِ جاهلة وغبية للغاية، لا تجيدين العمل مهما حدث. أنتِ السبب في عدم حصولنا على الدرجات!

تألمت سلمى مما قالت ريم، فتحول ذلك اليوم إلى أسوأ أيام حياتها. ابتعدت ريم، وسارت مسافة قصيرة، مكملة بكاءها، ثم توقفت بعيدًا. في تلك الأثناء، ظهر الموظف بهاء، الذي ركض نحو ريم بعد أن سمع من زملائها عما حدث. حاول مواساتها ودعمها لعدم حصولها على درجات التقييم. تحدثا معًا لأكثر من ساعة، وتطرق الحديث إلى سلمى، التي كانت تقف في منتصف الصالة، منهارة ومصدومة من كلام ريم القاسي. أجهشت سلمى بالبكاء، إذ شعرت بالظلم وانكسار روحها، فلم يكن هناك من يساندها.

اقترح بهاء على ريم أن تصبح صديقة لسلمى، التي فقدت أصدقاءها مؤخرًا وأصبحت وحيدة بعد تخلي زملائها القدامى عنها. وافقت ريم على الفكرة. في تلك اللحظة، شعرت سلمى بتأنيب الضمير، إذ أدركت خطأها في إخفاء عملها المنفرد. أدركت أيضًا أنها كان يجب عليها العمل مع المجموعة، لكنها كانت مقتنعة بأن أفراد المجموعة الثانية لا يتعاونون في العمل الجماعي. فقد كانت قائدة المجموعة تقوم بالأعمال الجماعية بمفردها دون مشاركتهم.

بعد ذلك اليوم الصعب، عادت سلمى إلى منزلها، وروت لأمها الطيبة تفاصيل يومها السيئ. صُدمت الأم، وأدركت أن ابنتها أخطأت بإخفائها العمل المنفرد، مما عرّضها لخطر خسارة فادحة، إذ كان من الممكن أن يؤدي ذلك إلى عدم حصول المجموعة على درجات التقييم. كانت سلمى تخشى أن يحصل زملاؤها على الدرجات بفضل تعبها وجهدها دون مساهمة منهم.

بعد مرور أيام قليلة، قررت سلمى أن تتعاون مع زملائها وتساعدهم. أنشأت مجموعة على تطبيق واتساب مع ريم خالد والشباب الثلاثة، وجمعت ملفات كل فرد من أعمالهم الخاصة لتحويلها إلى عمل جماعي. لكن سلمى أخطأت في تقسيم المهام، إذ لم توزع وحدات الكتاب المدرسي بشكل عادل لكل فرد. كان يُفترض أن يُخصص لكل فرد ثلاث وحدات من دروس الصف السادس الابتدائي للفصل الدراسي الأول، لكنها اختارت درسًا واحدًا لفردين من الشباب الثلاثة، لعدم وجود دروس كافية للجميع.

وقفت سلمى أمام زملائها، الذين اتهموها بارتكاب الأخطاء، بعد أن ظهرت بصورة سيئة، وكأنها جاهلة وغبية في موقف محرج. بدت قائدة المجموعة منزعجة منها، ولامتها على خطأ غير مقصود. كانت سلمى منكسرة الروح، تتوقع أن يدافع عنها أحد، لكنهم لم يرغبوا في الدفاع عنها. نزلت من السلالم، وتوقفت قبل أن تفتح هاتفها لتلبية طلب محمد حسين، أحد زملاء المجموعة، الذي طلب منها البحث عن كتاب مدرسي. ظل محمد منشغلاً بتصفح هاتف سلمى، بينما كانت تقف أمام ريم. لم يرغب محمد في اختيار كتاب مدرسي معقد مليء بالتفاصيل، بل أراد كتابًا سهلاً وخفيفًا. وجدت سلمى حلاً بديلاً، فاختارت نفس الكتاب المدرسي للفصل الدراسي الثاني، ليتم تقسيم ثلاث وحدات لكل فرد من الشباب الثلاثة للفصل الدراسي الأول. لكن ملف العمل الجماعي احتوى على أخطاء غير منظمة، بسبب تكرار عمل كل فرد من الشباب الثلاثة، وهم أصدقاء مشتركون من مدرستهم القديمة.

في يوم الإجازة، جلست سلمى بمفردها في مقهى قريب من الكلية، لتعمل على التعديل النهائي لملف العمل الجماعي من الساعة الثامنة صباحًا حتى الظهر. شربت النسكافيه، وهو شرط الجلوس في المقهى المقابل للكلية. تأخرت ريم عن الحضور إلى المقهى، وتجاهلت مساعدة سلمى، واكتفت بالجلوس بجانبها والتحدث معها دون أي مساهمة.

أخذت سلمى عملها المنفرد السابق، وأضافته إلى تجميع العمل الجماعي. كانت جالسة، تركز على جهاز الحاسوب المحمول أمام ريم، التي بدت تشعر بالملل. ريم، التي كانت قد ساندت سلمى سابقًا، لم تقدم جهدًا يُذكر. وجدت سلمى أن عملها المنفرد القديم كان رديئًا، لأن ريم لم تعمل على عملها المنفرد بنفسها، بل ساعدتها ابنة خالتها. تحول العمل الجماعي إلى مسؤولية سلمى بالكامل، بسبب ضعف مهارات ريم. عانت سلمى من محاولاتها المتكررة لتعديل العمل الجماعي بمفردها طوال اليوم، وشعرت بالحاجة إلى وجود زملائها معها. طلبت منهم الحضور إلى المقهى القريب من الكلية لمساعدتها في كتابة وتعديل الملف، بعد الاتفاق على التعاون الجماعي، إذ كان الأساتذة يطالبون بتعديلات متكررة على العمل.

في اليوم التالي، حصلت سلمى مع المجموعة الثانية، برفقة ريم خالد والشباب الثلاثة، على درجة التقييم، بفضل تعبها وجهدها. لكن سلمى لم تكن راغبة على الإطلاق في التواجد مع ريم، بسبب الموقف السابق، إذ كرهتها بشدة. في يوم تقييم المواد الثلاث، برزت حقيقة تفوق سلمى، فحصلت بنفسها على تقدير "جيد" في جميع المواد الثلاث.

أُذهل زملاء سلمى الصغار من درجاتها الجيدة، وشعروا بالصدمة والدهشة، إذ لم يصدقوا نجاحها. كانوا يظنونها غبية، جاهلة، غريبة الأطوار، وتقليدية. شعرت ريم بالغيرة منها، وبدت مندهشة، غير مصدقة لما أنجزته سلمى، إذ كانت قد صدّقت، مثلهم، الأوصاف السلبية التي أُطلقت عليها.

بعد مرور أيام، كانت سلمى قلقة من صعوبة تحميل برنامج "سينما فور دي" على جهازها المحمول، بسبب حجمه الكبير الذي لا يتسع لمساحة التخزين المتوفرة، خاصة مع ظهور تكليف جديد لمادة أخرى. طلبت من زميلها محمد طارق تحميله، لكنه لم ينجح أيضًا بسبب ضيق المساحة. انتبهت ريم لمحادثة سلمى مع محمد، فقالت لها، بينما كانت سلمى تشعر بالقلق والخوف:

- ربما يمكنني أن أعيركِ جهازي المحمول لتعملي على برنامج "سينما فور دي".

شكرتها سلمى، وشعرت بالراحة لإيجادها الحل. لكن ريم، في الواقع، استغلت سلمى للمرة الأولى، مدركة أنها ماهرة ومتميزة في أعمال الكلية. اجتهدت سلمى، وعملت بجد على برنامج "سينما فور دي" باستخدام جهاز ريم في منزلها، ليس فقط لإتمام عملها المنفرد، بل أيضًا لإعداد عمل منفرد لريم، التي طلبت منها ذلك لعدم إجادتها استخدام البرنامج. لم تستطع سلمى رفض طلب ريم، بسبب مساعدتها لها بالجهاز.

ظهرت سلمى، كعادتها، بملابس غير متناسقة، تبدو بمظهر غير أنيق، إذ لم تهتم يومًا بأن تبدو مثالية. انتقدت ريم مظهرها الخارجي، فسئمت سلمى من تعليقاتها. اختبرت سلمى ريم لتعرف ما إذا كانت صديقة جيدة، فراقبت لغة جسدها وتصرفاتها. أدركت أن ريم ليست سوى صديقة سيئة، منافقة، لا تهتم بجبر خواطر سلمى أو مشاعرها المؤلمة.

لاحظت رحمة رفعت أن سلمى وريم أصبحتا مقربتين أكثر من السابق، فشكت في وجود أمر غريب بينهما سرًا. كانتا لا تفترقان في أيام معينة، سواء داخل الكلية أو خارجها. قررت رحمة سؤال ريم عن سبب تقربها الدائم من سلمى بدلاً منها، إذ شعرت أن ريم تغيرت ولم تعد كما كانت، وأنها تخفي أسرارًا. تشاجرت ريم ورحمة في مكتب الكلية بسبب سلمى، التي كانت طرفًا ثالثًا في النزاع. جلست سلمى صامتة، تشاهد الشجار، وشعرت بالذنب والانزعاج، إذ لم تكن مثل أي منهما يومًا. ثم طلبت رحمة من سلمى مساعدتها في برنامج "سينما فور دي."

رفضت سلمى مساعدة رحمة، إذ منعتها ريم بسبب كسلها، وحاولت ريم التحكم بها والسيطرة عليها. ندمت سلمى كثيرًا لعدم مساعدتها رحمة، وشعرت أنها أصبحت أنانية بسبب تعلقها بريم. أما رحمة رفعت، فكانت صديقة ريم، أو بالأحرى لم تكن مقربة منها، إذ درست معها في مدرسة مديحة قنصوه بحي مدينة نصر. تعيش رحمة في حي شعبي بالقرب من مترو غمرة، حيث يسكنه بعض البلطجية، لكنها صادقة وطيبة القلب، محبوبة من الآخرين، مؤمنة بدينها الإسلامي، ومحافظة على صلاتها. والدها متدين، ووالدتها منتقبة، تنتمي إلى عائلة محافظة جدًا، مع شقيقتيها الكبرى والصغرى. كانت رحمة مخطوبة منذ أربع سنوات لإسلام، حبيبها الذي تعرفت إليه في المدرسة ذاتها.

أنهت سلمى عملها وعمل ريم خالد سرًا، دون علم أحد. في يوم الأربعاء، خلال التدريب العملي في مدرسة قريبة من الكلية، وقبل يوم الخميس، موعد الامتحان العملي لبرنامج "سينما فور دي"، كان سعيد ومحمد حسين، من الشباب الثلاثة، يقفان خارج الفصل. لاحظا اضطراب سلمى، فطلبا منها الدخول إلى الفصل. أصبحت سلمى مرتبكة، ثم طلبت مرافقة ريم خالد، التي كانت تقف أمامها، فذهبت معها ودخلت برفقتها.

فقال سعيد لسلمى، التي بدت مضطربة ومترددة:

- أنتِ تجيدين استخدام برنامج "سينما فور دي"، أليس كذلك؟ غدًا يوم التقييم، فأرجوكِ ساعديني، فأنا لا أجيده.

تدخلت ريم، وكذبت، إذ لم ترغب في السماح لسلمى بمساعدته، وقالت محاولة السيطرة:

- سلمى لا تجيد العمل على البرنامج، فقد ساعدها أقاربها في تعلمه.

رفض سعيد كلام ريم، واعترض عليها، رافضًا تدخلها. كان يريد مواجهة سلمى مباشرة، وليس ريم، إذ لم يقتنع بكلامها. حاول سعيد استغلال سلمى، لأنه لم يركز على دراسته يومًا، منشغلاً بعمله بسبب ظروفه الصعبة. نظر إلى سلمى، التي بدت مضطربة، وقال:

- يمكنكِ مساعدتي، فأنا لا أجيد استخدام البرنامج.

ترددت سلمى، وأصبحت نادمة بسبب سعيد، إذ لم تستطع مساعدته. أدركت ظروفه الصعبة التي جعلته كسولاً عن دراسته، لأنه لم يجِد القراءة والكتابة. كذبت سلمى بسبب عدم صدق زملائها، إذ ادعى محمد طارق أنه مريض نتيجة عملية في المخ، وأصيب بنوبة عصبية، فلم يتمكن من الحضور إلى المقهى لمساعدتها. أما سعيد، فقد ماطل في العمل الجماعي، ومحمد حسين لم يجِد العمل الجماعي أيضًا. حاول محمد حسين الذهاب إلى المقهى لمساعدتها، لكنهم، باستثناء محمد حسين، لم يساعدوها، خاصة سعيد الذي تجاهل مساعدتها بسبب انشغاله بعمله. خرجت سلمى برفقة ريم إلى خارج الفصل، إذ لم تستطع التصرف بمفردها دون ريم، التي دافعت عنها. كانت ريم زميلتهم لأربع سنوات، وتعرفهم جيدًا.

فقالت ريم، ناظرة إلى سلمى التي تنفست الصعداء:

- لا ينبغي أن تساعديهم، فهم سيتصرفون بمفردهم. لم يساعدوكِ، فلستِ ملزمة بهم، فتجاهليهم.

في اليوم التالي، يوم الامتحان العملي، حصلت سلمى وريم على درجاتهما بفضل جهود سلمى. استمرت سلمى في مساعدة ريم في المقهى أمام الكلية، حيث عملوا على برنامج "فيجوال بيسك" لتصميم البرمجيات وكتابة الأكواد. كانت سلمى جالسة بجانب ريم، التي حاولت كتابة الأكواد على جهازها المحمول لساعات قليلة. في يوم آخر، داخل مدرج الكلية، حصلت رحمة رفعت على درجة "جيد"، على عكس ريم التي حصلت على درجة "مقبول". أخبرت سلمى زملاءها الصغار عن درجاتهم أمامهم، فعرفت ريم بدرجة رحمة. شعرت ريم بالغيرة، وتحول وجهها إلى الغضب. قارنت نفسها برحمة، فنشب شجار بينهما في المدرج استمر ساعات، بسبب الدرجات. أوضحت رحمة أنها لم تجد من يساعدها، ولم تجِد استخدام "فيجوال بيسك". قالت إن زميلة لها ساعدتها، وأرسلت لها صور الأكواد قبل طباعتها. استمرت رحمة في زيارة مكتب أستاذ المادة، وسألته عدة مرات، فحصلت على درجة جيدة، على عكس زملائها. وفي منتصف الشجار...

قالت رحمة لريم، ناظرة إليها:

- لقد رفضتِ مساعدتي لأنكِ وجدتِ سلمى موجودة تساعدكِ في استخدام برنامج "فيجوال بيسك."

تدخلت سلمى، التي بدت متفاجئة، موجهة كلامها إلى رحمة التي أشارت إليها بسبب رفضها مساعدتها:

- لماذا تشيرين إليَّ، يا رحمة؟

فأجابت رحمة، محاولة الدفاع عن نفسها، ونظرت إلى سلمى:

- لا تتدخلي بيني وبين ريم، فأنا أتحدث إليها ولستِ أنتِ. ليس لكِ علاقة بما يجري بيننا.

لم تجب سلمى، وشعرت بالحزن. انتهى الشجار بعد أن تسببت ريم في المشكلات، كعادتها، إذ أصبحت سيئة الطباع ومضطربة نفسيًا.

قالت ريم، التي بدت غاضبة، ناظرة إلى سلمى بنظرة شريرة:

- رأيتِ كيف حصلت رحمة رفعت على درجة عالية، بينما حصلنا نحن على درجات مقبولة، يا سلمى!

لم تعرف سلمى كيف تجيب، إذ كانت راضية عن درجاتها. في المقهى، كانت ريم متضايقة، وجلست بجانب سلمى، وحاولت كتابة الأكواد على برنامج "فيجوال بيسك". فشلت عدة مرات حتى استسلمت.

قالت سلمى، ناظرة إليها بفضول:

- لقد حصلتِ على درجة جيدة، يا ريم، وأريد أن أعرف كيف فعلتِ ذلك. لا يمكنني رؤية عملكِ الخاص على برنامج "فيجوال بيسك".

في تلك اللحظة، أخذت ريم صور تصميم البرمجة التي أعدتها سلمى لها، ولم تصدق أن سلمى حصلت على درجة جيدة تفوقت بها عليها. شعرت بالغيرة في بعض المواد، فبدأت تضغط على سلمى طوال الأشهر الماضية. كانت سلمى تستخدم جهاز ريم المحمول باستمرار، إذ جعلتها ريم تابعة لها في أعمالها الدراسية، راغبة في أن تقوم سلمى بإعداد أعمالها الخاصة سرًا دون علم أحد. كانت أعمال ريم تظهر بمظهر جميل لأن سلمى بذلت فيها أفضل ما لديها، وهكذا أرادت ريم الحصول على درجات جيدة.

أخفت ريم سر استغلالها لسلمى عن الجميع. جلست سلمى على كرسي في منزلها، مركزة على جهاز الحاسوب المحمول، مجتهدة بكل طاقتها، متعبة أكثر من ريم كل ليلة. عانت من آلام في ظهرها وذراعيها بسبب ساعات العمل الطويلة من الصباح حتى المساء، كل ذلك لمساعدة ريم. لم تعد سلمى تتحمل، فأخبرت أمها، متألمة، أن ريم متسلطة، وجعلتها تابعة لها طوال الأيام والأسابيع والأشهر الماضية.

مع مرور الوقت في الفصل الدراسي الأول، لم تتوقف ريم عن التسلط، بل استخدمت الابتزاز العاطفي بحجة انشغالها مع ابنها الصغير. أرسلت صورة ابنها إلى سلمى عبر تطبيق واتساب، مستغلة عجزها عن العمل. عندما رأت سلمى صورة الطفل، وافقت على مساعدتها، مجبرة تحت وطأة الابتزاز العاطفي. كانت ريم تخرج مع زوجها في نزهات، بينما أصبحت سلمى ضحية الابتزاز، الخداع، الكذب، الاستغلال، والغش، إذ وقعت في فخ ريم. حاولت سلمى أن تكون صادقة معها، وحذرتها مرارًا، لكن ريم تجاهلت كلامها الجاد، وبدت قاسية وغاضبة، مدركة أن سلمى ضعيفة الشخصية. لم تعتبرها ريم صديقة يومًا، بل استغلتها لمصلحتها الشخصية.

لم تكن ريم موهوبة أو ذكية طوال أربع سنوات، إذ كان زوجها أو ابنة خالتها يساعدانها باستمرار. أما أخوها، فكان متسكعًا، يخرج مع أصدقاء سيئين، ويواجه مشكلات دائمًا. كان في السنة الثانية بالكلية، ونجح بالغش لجهله. في تلك الأثناء، تزوجت رحمة رفعت خلال الإجازة من زوجها إسلام، الذي يعمل مهندس حاسوب في إحدى الشركات.

مع بدء الفصل الدراسي الثاني، ظهرت نتائج الفصل الأول. نجحت ريم في السنة الرابعة لجميع المواد بالغش من وراء زملائها، وبفضل مساعدة سلمى المتواصلة طوال العام. لكنها خدعت سلمى، وادعت أن أخاها نجح في السنة الثانية. عندما سألتها سلمى، لم تدرك أن رحمة أخبرتها بالصدفة عن رسوب أخي ريم الأصم في السنة الثانية. قررت سلمى اختبار ريم مرتين لتتأكد من صدقها، لكن ريم أنكرت وكذبت عليها خوفًا من الخجل، إذ كانت تعلم برسوب أخيها. استغربت سلمى إخفاء ريم لموضوع أخيها، خاصة أنها أخبرت رحمة به، رغم اختلاف شخصيتيهما وأفكارهما.

عانت سلمى من أفعال ريم السيئة باستمرار، إذ تظاهرت باللطف بينما كانت علاقتهما كاذبة ومليئة بالمشكلات، من كذب واستغلال وابتزاز وغش ونفاق ومصلحة. أصبحت سلمى نادمة، ودفعت ثمن أخطائها القاسية طوال سنتين، إذ وصلت إلى طريق مسدود بسبب سذاجتها، لسماحها بمساعدة ريم طوال العام. أجبرت نفسها على البقاء مع ريم لتجنب الوحدة خلال أيام الدراسة. حاربت سلمى صراعًا داخليًا، فعانت من خيانة وغدر وخذلان في الصداقات، إذ لم تجد من الأصدقاء سوى الوهم طوال مراحل حياتها من الطفولة حتى الشباب. في شهر فبراير، بدأ الفصل الدراسي الثاني. في اليوم الأول، وصلت سلمى إلى الكلية متأخرة، وجلست في مدرج قاعة المحاضرة، لكنها لاحظت أنها في القاعة الخاطئة، إذ لم يكن الحاضرون زملاءها من الدفعة، بل من قسم آخر. خرجت سلمى من القاعة، ودخلت إلى أقرب مدرج في القاعة الصحيحة، وجلست بجانب ريم. بعد انتهاء المحاضرة، خرجتا معًا.

سألت ريم، ناظرة إلى سلمى:

- لماذا لا تتواصلين معي؟ لقد حظرتِني عبر تطبيق واتساب، أليس كذلك؟

ترددت سلمى، إذ لم تعرف كيف تكشف الحقيقة. أدركت أن ريم ستنكر الحقائق كعادتها، وترفض الاعتراف، متظاهرة بالصدق. كانت ريم تهرب من المواجهة، مخفية أسرارها، ضعيفة وجبانة، غير شجاعة أمام الآخرين.

قالت سلمى، التي بدت شجاعة، لريم المتضايقة:

- نعم، صحيح، لقد حظرتكِ عبر تطبيق واتساب، لأنني حرة في قراري. لا أريد التحدث إليكِ، وأفضل أن أبقى وحيدة بعيدًا عنكِ.

رفضت ريم التخلي عن سلمى، خائفة من أن تبقى فاشلة، ولم ترغب في أن تتركها سلمى مع بداية الفصل الدراسي الثاني. قالت، ناظرة إليها:

- لن أوافق! يمكننا أن نتواصل، فنحن صديقتان، وحظرتِني دون علمي.

قالت ريم، التي بدت فضولية، ناظرة إلى سلمى:

- نعم، تفضلي وقولي، يا سلمى.

فقالت سلمى، غاضبة ومتوترة، ناظرة إلى ريم:

- لا أريد أن تضغطي عليَّ لإعطائي جهاز الحاسوب المحمول، لأنكِ تريدين مني إنهاء أعمالكِ الخاصة دون علم أحد. لقد تعبت، ولم أعد أحتمل الضغوط، مع تراكم أعمالكِ التي لم تنهيها بعد.

ثم أكملت كلامها، بعد أن تنفست الصعداء:

- دون إنهاء أعمالي الخاصة، يبدو الأمر صعبًا، وقد تراكمت المشكلات. أعتذر، فأنا لا أستطيع مساعدتكِ في أعمالكِ، ولن أوافق بالطبع. لم أحب أن تأمريني، فأنتِ تملقين وتماطلين، وتختلقين الأعذار بحجة الانشغال.

تقبلت ريم كلامها، لكنها شعرت بالاستياء والغضب والكراهية والحقد. ظلتا تتواصلان، يتبادلان الأحاديث عبر تطبيق واتساب، لكن ريم لم تتوقف عن الابتزاز العاطفي، راغبة في أن تواصل سلمى مساعدتها خارج الكلية أو في المقهى القريب منها، دون اكتراث بمعاناة سلمى. تظاهرت سلمى باللطف، لكنها كانت تكره ريم وتحقد عليها بسبب استغلالها. تشاجرت سلمى وريم شجارًا عنيفًا أحيانًا، استمر أسابيع وشهورًا، بسبب أعمال الكلية. لاحظ زملاؤهما أنهما لا تفترقان، ويتواصلان باستمرار.

بكت سلمى بعد انتهائها من عمل الوسائل التعليمية، وجلست بصمت خارج المسجد أمام الكلية، إذ لم تنتهِ من عملها بعد، وواجهت صعوبة في البدء من جديد بسبب ضيق الوقت. قررت رحمة مساعدة سلمى، فأعطتها لوحات تعليمية للتدريب العملي، إذ لم تملك سلمى شيئًا من أعمالها السابقة بسبب مشكلاتها الدراسية. كانت رحمة تمتلك لوحات تعليمية من طلاب سابقين تعرفهم منذ المدرسة القديمة. قررت رحمة دعوة سلمى إلى منزلها، بموافقة والدتها وبمعرفة والدة سلمى، دون علم والد رحمة، وبدون وجود ريم.

غادرت سلمى الكلية برفقة رحمة عبر المترو، متجنبة التأخر في المقهى أمام الكلية. وصلت سلمى إلى منزل رحمة للمرة الأولى، وبدت خجولة. جلست على أريكة المنزل، ونظرت إلى رحمة التي جلست أمامها، وبدأتا تتحدثان معًا.

قالت رحمة، ناظرة إلى سلمى:

- إنني أساعدكِ لطيبتي، لم أفعل ذلك لتساعديني، بل لأكسب الثواب. ساعدتكِ لأنني رأيتكِ مسكينة في المدرسة، واعتبرتكِ كأختي، إذ أخاف عليكِ.

قالت سلمى، التي بدت مضطربة، وقد عرفت الحقيقة بسبب زلة لسان:

- لا... يمكنني أن أساعدكِ أيضًا، لكن ريم أجبرتني على عدم مساعدتكِ. صممتُ لها برنامجي "سينما فور دي" و"فيجوال بيسك"، فهي لم تعرف كيف تفعل ذلك بدوني، لذا ظلت متعلقة بي.

أكملت، ناظرة إليها، بعد أن تنفست الصعداء:

- لم أسمح لنفسي بالحديث معها في البداية، فقد بدأت علاقتنا استجابة لطلب الأستاذ بهاء، لأنني كنت وحدي. ثم أجبرتني ريم طوال هذا الوقت، إذ لم تتركني، وتبعتني أينما ذهبت، داخل الكلية وخارجها. أعطتني جهازها المحمول، فأخذته لإنهاء أعمالها، لكنني قمتُ بكل شيء في أعمالها بمفردي، دون أن تتعب أو تجتهد معي لحظة واحدة. اختلقت أعذارها بحجة انشغالها، فأصبحت مجبرة على مساعدتها بعد موافقتي، ولم أجد من يدافع عني.

أذهلتها الحقيقة، إذ فهمت أسباب تصرفات ريم، ورفضت مساعدة رحمة بسبب إجبار ريم لها على منع ذلك. استمر سلمى ورحمة في الحديث لساعات، فتأخرت سلمى في العودة إلى منزلها. قلقت والدتها، فأخذت سلمى اللوحات التعليمية من رحمة، ونهضت من الأريكة، ثم نزلت إلى الأسفل بعد أن ودعت رحمة وشكرتها. وصلت إلى منزلها أخيراً بعد وقت طويل. كان والدها غاضبًا من تصرفات ابنته، إذ لم يعرف سبب تأخرها. تصالحا بعد أن توسلت إليه. قال والدها، ناظرًا إلى ابنته:

- لا تعودي إلى منزل رحمة مرة أخرى، يا ابنتي.

في يوم التدريب، كالعادة يوم الأربعاء، دخل زملاء سلمى الصغار إلى الفصل، وتواصلوا فيما بينهم. كانت ريم موجودة معهم، بينما وقفت سلمى شاردة الذهن أمام النافذة في المدرسة، كعادتها. خرجت من الفصل، ثم ظهرت رحمة بعد تأخرها. اكتشفت رحمة أن ريم لم تكن تريد مساعدتها، إذ أخفت عنها الأمور وخدعتها، مما تسبب في سوء تفاهم بينهما.

كانت سلمى تبحث عن مجموعة لمادة صعبة تتعلق ببرنامج تصميم الشخصيات والرسوم المتحركة "موهو". لكن زملاءها لم يكترثوا بها، ولم تجد مجموعة أخرى تشاركها، إذ كان البرنامج صعبًا وغير سهل بالنسبة إليهم. وجدت سلمى مجموعة أخرى عبر التواصل مع أحد الطلاب، وسمحوا لها بالمشاركة بعد أن أخفت الأمر عن زملائها، خوفًا من اتهامها بالأنانية أو سوء الظن. بالصدفة، انضمت ريم إلى المجموعة ذاتها التي شاركت فيها سلمى، وبدت مندهشة عندما رأت سلمى معها في المجموعة.

تشاجرت سلمى وريم قبل أن ينتهي الشجار. نادت ريم سلمى بعد خروجها من الفصل، لتدخل معهم، إذ أراد زملاؤهم التحدث إليها. دخلت سلمى برفقة ريم إلى الفصل، وسألوها عن حقيقة ريم أمامها. بدت سلمى مضطربة، بعد أن أخبرتهم رحمة بما قالته سلمى. تدخلت ريم في منتصف الحديث، لكن سلمى اعترفت بالحقيقة، وبدت مترددة أمامهم.

نظروا إليها، ثم سألت قائدة المجموعة:

- هل ريم هي التي أجبرتكِ على عدم مساعدة رحمة في أعمالها الخاصة، يا سلمى؟

أجابت سلمى، بعد أن استجمعت شجاعتها:

نعم، لكن ريم كانت غاضبة، وأخبرتني، ثم منعتني من مساعدة رحمة بعد أن طلبت مني ذلك.

أكملت قائدة المجموعة سؤالها، وقد بدوا متفاجئين:

- أريد أن أعرف من صمم الشخصيات ثلاثية الأبعاد، فهي ليست سهلة، وزملاؤنا لم يجيدوا استخدام برنامج "سينما فور دي".

قالت سلمى، بعد أن تنفست الصعداء:

- أنا صممتُ التصاميم ببرنامج "سينما فور دي" لعملي الخاص، وصممتُ لأجل مساعدة ريم في أعمالها. فهي لم تجِد التصميم، لأن البرنامج ليس سهلاً. أعطتني جهازها المحمول لأعمل عليه في منزلي، إذ كان جهازي معطلاً بسبب قرص مضغوط ضعيف. كانت ريم منشغلة في منزلها طوال الوقت، عاجزة عن التصميم بسبب طفلها الصغير. أرسلت لي صورة طفلها عبر هاتفي، وتوسلت إليَّ، فوافقت على مساعدتها.

قالت ريم، التي قررت الانتقام منها أمامهم:

- سلمى انضمت إلى مجموعتي في برنامج "موهو" بالصدفة، لكنها لم تخبرني، وأخفت الأمر عني.

دافع سلمى عن نفسها، وقالت بعد أن اعترفت بالحقيقة:

- نعم، لكنني انضممت إلى المجموعة لأنني أردت إنهاء العمل بسرعة. لم أتفق مع ريم على الانضمام معًا، فقد حصل ذلك بالصدفة دون علمنا. زميلتنا أم هاشم هي التي أدخلتنا إلى المجموعة، وشاركت معنا بالصدفة، وأخفت الأمر عنا.

قالت رحمة، ناظرة إلى قائدة المجموعة:

- سلمى أخبرتني أن ريم غيورة، لأنني حصلت على درجة جيدة في برنامج "فيجوال بيسك."

ثم سألت سلمى، ناظرة إليها:

- أليس صحيحًا أنكِ أخبرتيني بذلك، يا سلمى؟

أجابت سلمى:

- نعم، لكن منذ يوم المحاضرة، تشاجرت ريم ورحمة، وأظهرت ريم غضبها الشديد. شعرت بالغيرة من رحمة، إذ نظرت إليَّ وتحول وجهها إلى الغضب.

سألت قائدة المجموعة ريم، بعد أن استدارت إليها:

- أصحيح ذلك، يا ريم؟

قالت ريم، ناظرة إليها وهي تقف أمامهم:

- نعم، لكنني شعرت بالغيرة. حصلت رحمة على درجة جيدة، بينما حاولت عدة مرات وفشلت، فحصلت على درجة مقبول.

تدخلت ريم، واعترضت، فتشاجروا مع بعضهم. شعرت سلمى بالذنب، وندمت لسماحها بمساعدة ريم طوال العام. أصبحت ضحية الكذب، الاستغلال، والخداع، بسبب ريم التي طعنتها بالغدر. كشفت سلمى حقيقة ريم، وانتهى الشجار بعد وقت طويل. بكت سلمى في الحمام، ومسحت وجهها، ثم نزلت إلى الأسفل، وخرجت إلى قاعة المدرسة. غادر زملاؤها نحو الكلية، ووصلت سلمى إليها بعد ساعات

خرجت سلمى من قاعة الكلية عازمةً على العودة إلى منزلها، بينما كانت ريم تحاول ملاحقتها. توسَّلت ريم إليها، لكن سلمى، التي بدت غاضبةً، رفضت الاستماع إليها وصاحت في وجهها. عندما وصلت سلمى إلى منزلها، أخبرت والدتها بما حدث. في الأيام التالية، عادت سلمى للتحدث مع ريم في الكلية بسبب أعمال المجموعة الدراسية. سألتها سلمى عن بعض الأمور، رغم أنها كانت مجبرةً على ذلك ولم تكن راغبةً فيه، إذ لم تعد تسامح ريم، لكنها تحمَّلت ذلك طوال الفترة الأخيرة.

في تلك الأثناء، كانت رحمة، التي تزوَّجت في شهر فبراير، حاملاً، وقد عانت مؤخرًا من أيامٍ صعبة بسبب إصابتها بمرضٍ في القلب. اضطرت رحمة للذهاب إلى المستشفى برفقة والدتها، وكانت سلمى قد اتفقت مع ريم على أن تكون رحمة موجودةً في الوقت نفسه. لكن رحمة نسيت جهاز الحاسوب المحمول (اللاب توب) في منزلها، فأُجبرت سلمى على مرافقتها إلى منزلها لمساعدتها. تردَّدت سلمى في البداية، خشية أن يعلم والداها بذلك، خاصةً أن رحمة لم تُكمل أعمالها بعد. في النهاية، ذهبت سلمى إلى منزل رحمة ووافقت على مساعدتها، لأنها لم تستطع الرفض، ولأن رحمة كانت قد ساعدتها سابقًا.

عند وصولهما إلى منزل رحمة، جلست سلمى بجانبها، وساعدتها وشرحت لها التفاصيل. مضت ساعاتٌ طويلة، وعندما عادت سلمى إلى منزلها، تشاجرت مع والدها الذي علم بموضوع رحمة. حاولت سلمى إقناعه بأن يسامحها، حتى سامحها أخيرًا، بعد أن تواصلت والدة رحمة مع والدة سلمى، تطلب منها أن تسمح لسلمى بمساعدة رحمة في منزلها. وافقت والدة سلمى على ذلك.

بعد الساعة الثامنة مساءً، جلست أخت سلمى بجانب والدتها، التي كانت تساعدها في دروس الصف الثالث الإعدادي. في تلك اللحظة، ظهرت رحمة برفقة أختها عند باب منزل سلمى. جلست رحمة بجانب سلمى، فشرحت لها وساعدتها طوال ساعاتٍ حتى الحادية عشرة مساءً. ثم عادت رحمة وأختها إلى منزلهما بعد انتهاء تلك الساعات الطويلة وبعد مرور الوقت، سارت ريم نحو بوابة الكلية خلف سلمى ورحمة، اللتين كانتا برفقتها.

نظرت رحمة إلى سلمى وسألتها:

- هل يمكنني أن أذهب إلى منزلك؟ أريدك أن تساعديني في أعمالي، فأنا لم أُجِد استخدام الجهاز، وربما يمكنكِ أن تُعلِّميني، يا سلمى.

تردَّدت سلمى، لأنها لم تكن راغبةً في المساعدة، ولم تَعُد تتحمَّل تراكم الضغوط عليها. لكنها وافقت مُكرَهةً، وقالت لرحمة، التي كانت تنظر إليها:

- حسنًا، ولكن يمكنكِ أن تُخبري ريم أنني لا أريد أن تتشاجرا بسببي مرةً أخرى. كما أريدكِ أن تأتي إلى منزلي في وقتٍ مبكر، فأنا لا أرغب في العمل معكما في المساء، يا رحمة.

وافقت رحمة وأخبرت ريم بذلك. عندها، شعرت سلمى بالانزعاج من وجود ريم ورحمة، إذ لم تكن ترغب في أن يزورها أحدٌ في منزلها، ولم تتحمَّل أن يُجبرها أحدٌ على ذلك. في اليوم التالي، تأخَّرت رحمة كعادتها، واضطرت إلى الذهاب إلى متجرٍ لإصلاح جهاز الحاسوب المحمول (اللاب توب) بسبب مشاكل عديدة واجهتها. سارعت ريم بخطواتها السريعة، متجاهلةً رحمة، ثم اتصلت بسلمى لتطلب منها أن تأخذها إلى منزلها. لكن سلمى شعرت بالكسل وتجاهلتها، إذ كانت رحمة تماطل. انتظرت رحمة في المترو ساعةً كاملة، بينما تخلَّت سلمى عن فكرة الانتظار.

في النهاية، وصلت رحمة مسرعةً إلى منزل سلمى بواسطة "التوك توك"، ووقفت أمام المبنى. صعدت السلالم، ووصلت إلى باب منزل سلمى. حاولت الاتصال بها عدة مرات، إذ كانت سلمى قد أرسلت لها عنوان المنزل بالأمس، وأخبرتها رحمة أنها وصلت إلى باب منزلها عبر رسالة. لكن سلمى كانت منشغلةً بمشاهدة التلفاز، فتجاهلت الرسالة في البداية. تفاجأت سلمى بعد أن رأت رسالة رحمة التي أخبرتها بوصولها المبكر. فتحت سلمى باب منزلها، فإذا بريم تقف أمامها. رحَّبت سلمى بها وأدخلتها المنزل، لكنها كانت تشعر بالانزعاج من وجودها.

ساعدت سلمى ريم في أعمالها، وشرحت لها التفاصيل. تأخَّرت رحمة، إذ أصبحت عالقةً في متجر إصلاح جهاز الحاسوب المحمول (اللاب توب)، لأن إصلاح جهازها كان سيستغرق وقتًا طويلاً. أنهت ريم أعمالها، ثم خرجت من منزل سلمى ونزلت إلى الأسفل، برفقة سلمى. عندئذٍ، قابلتا رحمة، فدخلت رحمة من بوابة العمارة إلى منزل سلمى بعد أن ودَّعت ريم. غادرت ريم بعد أن تواصلت مع سلمى، بينما صعدت سلمى إلى الأعلى برفقة رحمة. جلست سلمى معها طوال ساعاتٍ، وساعدتها حتى أنهت رحمة أعمالها. ثم جاءت أخت رحمة لتأخذها من منزل سلمى.

وذات يوم، اصطحبت سلمى ريم خارج الكلية لتساعدها في إكمال أعمالها في منزلها. في طريقهما، سلكتا طريقًا آخر، فقالت ريم، وهي تنظر إلى سلمى:

- أريد أن نذهب إلى مكانٍ بعيد عن أعين الجميع، فأنا لا أرغب أن يرانا أحدٌ ونحن نتجه نحو طريق العباسية.

رفضت سلمى الاقتراح وتجاهلت ريم، لكن ريم لم تُصرَّ بعد أن سمحت لسلمى بالسير معها نحو الطريق العام. ركبتا معًا الحافلة (الباص)، ومن خارج النافذة، رأتهما زميلاتهما. حاولت سلمى الاختباء أسفل مقعد الحافلة، وجلست خلف ريم، التي بدت باردة المشاعر وتظاهرت بالانشغال. حدث سوء فهم، إذ اشتبهت الزميلات بوجود أمرٍ غريب بين سلمى وريم. لاحقًا، ذهبت رحمة إلى منزل سلمى برفقتها.

وصلت رحمة إلى باب الشقة، ثم اكتشفت، وهي تبدو مندهشة، ما حدث. أخبرتها ريم وسلمى بموضوع الحافلة (الأتوبيس). كانت سلمى متأكدة أن زميلاتها لم يُحببنها وحقدن عليها بسبب إخفائها أسرارها عنهن، فلم تَعُد تُظهر طيبة القلب. علمت رحمة، التي بدت مضطربة، بما حدث عن طريق زميلة مشتركة أخبرتها عن ريم وسلمى بعد أن شاهدتهما في الحافلة.

مع استمرار المساعدة، وصلت ريم إلى منزل سلمى برفقتها. شرحت سلمى تفاصيل أعمالها، واعترضت على أسلوب ريم الخاطئ، لكن ريم رفضت الانصياع وتجاهلتها، واستمرت في عملها بمساعدة سلمى. مضت الساعات، ثم جلست رحمة في منزل سلمى. عانت سلمى من جلوسها ساعاتٍ طويلة من الظهر حتى المساء، دون أن تُنهي نظافتها الشخصية، أو تؤدي صلواتها بسبب انشغالها. لم تسترح لحظةً واحدة، وتألم ظهرها وعمودها الفقري وذراعاها، اللذان ظلا منشغلين بجهاز الحاسوب المحمول (اللاب توب) الخاص برحمة.

عندما أنهت ريم عملها، كانت رحمة جالسةً بجانبها. تواصلا معًا، وضحكتا على الأريكة طوال ساعات، دون أن يهتما بمعاناة سلمى. ثم نهضت ريم من الأريكة بعد أن أكملت عملها، وغادرت إلى منزلها. عندئذٍ، أجَّلت سلمى عمل رحمة بسبب إرهاقها الجسدي، إذ لم تَعُد تتحمل الألم. تقبَّلت رحمة ذلك وتفهَّمت موقفها. خرجت رحمة، وكانت تبدو عابسةً، برفقة ريم، ثم عاد كل واحدةٍ منهما إلى منزلها.

في اليوم التالي، رفضت سلمى مساعدة رحمة، لأنها عانت من إرهاقٍ شديد بسبب عمودها الفقري، الذي كاد يحترق من شدة الألم، ولم تستطع أن تستريح.

ذهبت سلمى إلى الكلية، فتوسَّلت إليها رحمة لتساعدها، لكن رحمة وجدت نفسها تائهةً، إذ لم تُجِد استخدام البرنامج. أقسمت سلمى لرحمة أن استخدام البرنامج سهلٌ وليس صعبًا إذا حاولت تعلُّمه بعد عدة محاولات، خاصةً أن موقع تصميم الويب كان يُعدُّ خفيفًا. لكن سلمى أصبحت قاسيةً وأنانيةً، فتركت رحمة عابسةً. حملت رحمة جهاز الحاسوب المحمول (اللاب توب) وجلست في مكتب بهاء، إذ لم تُكمل عملها داخل الكلية. لم تساعد سلمى رحمة بسبب مماطلتها، وبقية الوقت كانت سلمى مستلقيةً في سريرها.

عادة سلمى إلى منزلها من الكلية، بينما حاولت رحمة تعلُّم استخدام موقع الويب بمفردها. في تلك الأثناء، كانت سلمى تُخبر زميلاتها في الدراسة بالحقيقة. استجمعت شجاعتها، وحاولت أن توضح لهنَّ سبب سوء الفهم، مشيرةً إلى الضغوط الناتجة عن مساعدتها لهنَّ ومعاناتها المتراكمة. أرادت سلمى أن تساعد رحمة وريم بعضهنَّ بعضًا.

في يوم التقييم، أنهت رحمة عملها بعد أن تعلَّمت بمفردها، ثم ذهبت إلى المستشفى مع والدتها، وحصلت على درجة جيدة في وقتٍ مبكر. أما ريم، فقد دخلت إلى قاعة المعمل، وعرضت عملها أمام الدكتورة، التي رفضت تقييمه دون منحها درجة بسبب أسلوبها الخاطئ. بكت ريم، وغضبت، وشعرت بالغيرة من سلمى، ولم تظهر بمظهرٍ طبيعي. جلست على الكرسي بجانب سلمى، التي نهضت لتذهب إلى الدكتورة.

عندما عرضت سلمى عملها أمام الدكتورة، حصلت على درجة جيدة، إذ أنجزته بطريقة صحيحة. عادت سلمى وجلست بجانب ريم، التي بدت شاردة الذهن بسبب غضبها. سارت ريم نحو كرسي أمام قاعة المعمل، بينما أخفت سلمى شاشة جهاز الحاسوب المحمول (اللاب توب) الخاص بها، لأنها لم ترغب أن ترى ريم عملها، خشية غضبها. لم ترتكب سلمى خطأً تجاه ريم، لكنها لم تُحب أن ينافسها أحد بسبب غيرة ريم السخيفة. أصبحت ريم غاضبةً، وبدت ملامحها وكأنها تكاد تحترق من شدة الغيرة النارية. أخفت سلمى عملها، وبعد انتهاء التقييم...

قالت سلمى بعد أن توجهت نحو ريم التي وقفت أمام زملائهما:

- لم أخطئ، فقد أخبرتكِ أنكِ تخطئين في أسلوبك غير الصحيح، ثم تجاهلتني ولم تعودي تستمعين إلى كلامي. وأقسم أنني لم أقصد تدمير عملك بالطبع.

قالت ريم بعد أن نظرت إلى سلمى:

- لا، ولكن كان عليكِ أن تخبريني مرات عدة حتى أنتبه إلى أخطائي، فأنا لم أدرك. وكان يجب أن تصححي أخطائي لأتمكن من تعديل أعمالي مرة أخرى، يا سلمى.

تشاجرت ريم وسلمى أمام زملائهما الذين نظروا إليهما، ثم خافت ريم من المواجهة أمامهم بعد أن لاحظتهم، إذ لم تُرد أن تظهر سيئة من وجهة نظرهم، وحاولت أن تبدو مثالية باستمرار. ثم أخذت سلمى إلى مكان بعيد عنهم لتجنب الظهور أمامهم، حفاظًا على مظهرها الخارجي تحت صورة المثالية المزيفة.

صاحت سلمى بغضب بعد أن نظرت إلى ريم التي بدت باردة المشاعر:

- لكنني ساعدتكِ طوال العام، ثم طعنتِني في ظهري بقية الوقت، وقللتِ من شأني لأنكِ غيورة مني.

قالت سلمى لريم التي بدت مضطربة وقد ظهر الارتباك على وجهها:

- لكنكِ سخرتِ مني وأخبرتِني باستمرار أنني لستُ جيدة في مظهري الخارجي، وأصبحتِ كاذبة معي طوال الوقت، ولم تحاولي مواجهتي يومًا. خدعتني ثم استغللتني كل هذا الوقت لأجل نفسكِ، وتجاهلتني باستمرار لأنني أقل من العادي.

أكملت سلمى كلامها ونظرت إلى ريم:

- لم تفكري في مساعدتي يومًا، ثم أخفيتِ أسرارك عني لأنكِ لم تخبريني خوفًا من الخجل، ولم تُردي أن أعرف لأنكِ تكرهينني طوال الوقت. وضغطتِ عليّ كل هذا الوقت لأنكِ مبتزة عاطفيًا.

هربت ريم من المواجهة خوفًا من الصدق، لأنها لا ترغب في مواجهتها، فأنكرت ثم خرجت من قاعة الكلية نحو البوابة لجبنها. تلعثمت، ثم تركت سلمى وحيدة أمام بوابة الكلية. قابلت سلمى رحمة التي كانت تقف خلف الكافيتريا، بينما ذهبت ريم إلى الناحية الأخرى. تألمت سلمى ولم يعد شيء يشفي روحها، فعادت إلى منزلها ولم تستطع أن تسامحها بسبب الندم بعد فوات الأوان على الماضي. قررت سلمى أن تعتذر رغم عدم رغبتها، وفي يوم المحاضرة الأخيرة استأذنت ورغبت في الحديث أمام ريم التي وافقت. اعتذرت سلمى، فنظرت إلى ريم التي قبلت اعتذارها. وفي داخل المكتب، جلست سلمى أمام الموظف بهاء، بينما كانت ريم جالسة على الكرسي. نادتها ريم ولوّحت لها بيدها، إذ لم تُرد أن تتواصل معها. تجاهلتها سلمى بعد أن لاحظت حركة يدها، ثم ذهبت إلى منزلها بعد أن غادرت المكتب، وحافظت على مسافة بعيدة عنها. ابتعدت سلمى عن رحمة وريم، فلم تُعد تتواصل معهما بعد أن تخلّت عنهما، لأن ريم أصبحت ناكرة للمعروف والجميل، ورحمة بدت مستغربة لأن سلمى لم تُرد أن تتقرب منها مرة أخرى بسبب شخصيتها المماطلة. ثم سألت رحمة سلمى لأنها لم تُجب على رسائلها.

أجابت سلمى بعد أن نظرت إلى رحمة:

- لقد حظرتكِ أنتِ وريم على تطبيق الواتساب، يا رحمة.

سألت رحمة عن السبب بعد أن قالت سلمى:

- لم يكن هناك شيء، فقط حسب مزاجي، فأنا لم أُرد أن أُخبركِ، إنني حرة.

ثم تقبّلت رحمة الأمر صامتةً. ومع انتهاء الفصل الدراسي الثاني، وفي يوم مشروع التخرج بعد تخرجهما في السنة الأخيرة، اتّفقت سلمى مع ريم لرغبتها في الخروج معًا، لكنها كانت مترددة للغاية، حتى لم تحضر في النهاية وخلفت وعدَها، إذ لم تخبر ريم بعدم ذهابها إلى مول سيتي ستارز، ولم تذهب إليه، وتجاهلتها. حاولت سلمى التواصل مع ريم لاحقًا، لكن ريم لم تُجب على رسائلها بعد أن رأتها. وبعد مرور أشهر قليلة، ذهبت سلمى إلى الكلية القديمة لتشارك في حفل التخرج مع عائلتها، فوجدت ريم واقفة عند بوابة الكلية، تحاول دفع تذكرة الحفل. عندما نظرت ريم إلى سلمى، استدارت بوجهها وتجاهلتها. تألمت سلمى وشعرت بالألم، إذ لم تتخيّل أن تعاملها ريم بأقل من العادي. وفي مساء ذلك اليوم، أرسلت سلمى مقطع فيديو إلى رحمة، شرحت فيه عن ريم، ثم غضبت. أرسلت رحمة بدورها مقطع فيديو عن سلمى إلى ريم، فحاولت ريم الرد على رقم سلمى، ثم أرسلت رسالة إلى رقم والدة سلمى بعد أن رغبت في التحدث إلى ابنتها. لكن سلمى لم تُرد التواصل معها وتجاهلتها.

حاولت رحمة التواصل مع والدة سلمى بعد أن توسّلت إليها، بينما غضب والد سلمى من ابنته التي قطعت علاقاتها بالناس من حولها، وحظرت التواصل معهم، ولم تُعد تتواصل أو تلتقي بهم مرة أخرى. وفي اليوم التالي، يوم حفل التخرج، سارت سلمى نحو قاعة المسرح في حديقة أندلسية، وقابلت ريم التي كانت جالسة في المقعد المحجوز بجانب اسمها المذكور. صافحتها ريم بابتسامة غير طبيعية، فتبادلت سلمى التحية معها، ممدّة يدها رغم انزعاجها منها. كانت سلمى ذكية، إذ لم تُرد إفساد حفل التخرج، فتنازلت لليلة واحدة.

ثم سألت ريم، وكانت واقفة خلف قاعة المسرح، بعد أن نظرت إلى سلمى:

- رحمة أرسلت مقطع فيديو عنكِ، لكنني لم أفكر في موضوع سيتي ستارز، فقد كنتُ مشغولة في منزلي ولم أرَكِ عند بوابة الكلية. ولكن، هل هناك شيء، يا سلمى؟

أجابت سلمى ريم، وقد بدت مضطربة:

- لا، لم يكن هناك شيء، فربما أسأتُ الظن بكِ، يا ريم، بعد مرور يوم واحد.

أرسلت سلمى مقطع فيديو إلى ريم، التي سجّلت وتحدثت أمام الكاميرا قائلة:

- ريم تجاهلتني بعد أن رأتني أمام بوابة الكلية، استدارت وتحاشت وجهها، ثم سألتني في حفل التخرج. لكنني خدعتها، لأنني كذبت عليها.

أكملت سلمى كلامها بعد أن غضبت، إذ تذكرت ما مرت به من أوقات صعبة في أيام الكلية بسبب رحمة وريم:

- ندمتُ لأنني أرسلتُ الفيديو، فقد ضغطتما عليّ، ولم أُرد أن تتصلا برقم والدي الذي غضب مني بسبب مشكلاتي. ثم أرسلتما رسائل إلى رقم والدتي عبر تطبيق الواتساب. لكنني أرسلتُ الفيديو إليكما لأنني أُريد أن أُخبركما: أُريد منكما الابتعاد، وتوقفا عن التواصل معي، فأنتما تزعجانني، وسأقطع علاقتي بكما إلى الأبد.

أصبحت سلمى وحيدة بعد أن حظرت الجميع، وقطعت علاقاتها بهم، وتخلّت عنهم، وغيّرت رقمها القديم برقم جديد. لم تُعد تتواصل معهم مرة أخرى، ونسيتهم، وأغلقت صفحة الصداقة إلى الأبد، وودّعت ذكرياتها المؤلمة، فأصبحت بلا أصدقاء في نهاية الأمر.

جدار الكافيه

بينَ هذهِ الجدرانِ أمضيتُ حياتكَ . .
ولدتْ في الزاويةِ ، وأقصى رحلةً كانتْ منْ الجدارِ إلى الجدارِ .

وديعْ سعادة

قبل سنوات عديدة، كانت سلمى تسير في شارع الخليفة المأمون عائدة من المدرسة، وكانت وقتها طالبة في الصف السادس الابتدائي. توقفت بجانب المسجد في الممر المؤدي إلى الجهة المقابلة لتعبر الطريق، منتظرة مرور السيارات. خلف السيارات، كان هناك شاب يقود دراجة بخارية. قررت سلمى فجأة أن تعبر الطريق بسرعة، فقالت لنفسها مخاطرة:

- سوف أفوز في السباق إلى الناحية الأخرى قبل أن يمر الشاب بدراجته البخارية!

ركضت سلمى لتعبر الطريق، لكن الدراجة البخارية اصطدمت بها في تلك اللحظة المتهورة. فقدت سلمى وعيها وسقطت على الأرض. تجمع المارة حولها، وظهر عامل النظافة بعد أن سمع صوت الاصطدام. رشوا الماء على وجه سلمى فأفاقت، وتنفست الصعداء بعد أن نجت من الحادث. نهضت بمساعدة من حولها، نادمة على فعلتها التي كادت تودي بحياتها وسارت سلمى ببطء نحو منزلها، بينما سقط الشاب قائد الدراجة البخارية هو الآخر، لكنه نجا بأعجوبة. لم يحاول مساعدة سلمى، إذ كان يعلم أنها تسببت في الحادث. نهض الشاب وهرب، مختفيًا إلى الأبد.

وكلما مرت سلمى بالطريق ذاته، تذكرت الحادث القديم، فتعجبت أنها لا تزال على قيد الحياة، وقد نجت من الموت. ظل الأمل يحدوها، تحمل في قلبها الكثير من الأحلام والأهداف التي تسعى لتحقيقها. لكن سلمى أصبحت حبيسة منزلها، لم تبرحه منذ فترة طويلة، تعيش وحيدة. جلست يومًا بجانب الطاولة، شاردة الذهن، تبحث عن ذاتها بعد أن جربت العديد من الهوايات دون جدوى. حتى اكتشفت الروايات الإلكترونية على مواقع الكتب الرقمية، فقررت أن تمُضي الشهور الأخيرة في القراءة. تحولت هوايتها إلى شغف عارم بالكتب، فأصبحت مهووسة بها. لم يكن لديها مكتبة في المنزل بسبب ارتفاع أسعار الكتب، فكانت تشتري الروايات المستعملة أو غير الأصلية من سور الأزبكية بأسعار زهيدة.

دخلت سلمى عالم الأدب لأول مرة بفضل الروايات الإلكترونية، مستغلة وقت فراغها. أنشأت حسابًا خاصًا على موقع فيسبوك، وانخرطت في الوسط الثقافي الأدبي. أصبحت خبيرة في اختيار الكتب ذات المستوى الرفيع، فنمت موهبتها وتفكيرها الإبداعي. كانت تفضل الروايات الهادفة التي تحمل رسائل للقارئ. تعرفت على مثقفين بارزين عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وكتبت منشورات على صفحتها، تمنت من خلالها الفوز بمسابقة للكتب، نظرًا لظروفها الصعبة.

لم تتخيل سلمى يومًا أن تلتقي كاتبًا محترمًا مثل الأستاذ عاطف رامز، الذي يحب الخير ويؤلف روايات جيدة، كتلك التي قرأتها. رأى عاطف ما كتبته سلمى وشاركه على صفحته الشخصية قبل أن تفوز بالمسابقة. شكرته سلمى على دعمه، بعد أن أرسل إليها كتبًا عبر صديقه المقرب مصطفى، المنسق الثقافي. التقت مصطفى في حي مصر القديمة واتفقت معه على التفاصيل. لكن سلمى لم تكن سعيدة تمامًا، إذ شعرت بالذنب لأنها استخدمت اسمًا مستعارًا وأخفت اسمها الحقيقي خوفًا من أحكام المجتمع.

في يوم من الأيام، وجدت سلمى رسالة من شيريهان على صفحتها في فيسبوك، تطلب فيها عنوانها ورقم هاتفها لإرسال كتب إلى منزلها. اختارت سلمى صورة من مكتبة شيريهان المليئة بالعناوين المتنوعة، وشعرت بالامتنان لهذا الدعم.

شكرت سلمى شيريهان على كرمها ومساعدتها. وفي فترة قصيرة، سافرت إلى قرية مهجورة لتقضي العطلة الصيفية مع عائلتها. هناك، أكملت قراءة الكتب المتبقية، فأعجبت بها كثيرًا، وأصبحت تعشق رائحة الورق. لم تكن قادرة على تخيل حياتها دون كتب، فقد باتت جزءًا لا يتجزأ من وجودها بسبب حبها الشديد لها.

ورغم ذلك، أغلقت سلمى حسابها الوهمي على مواقع التواصل الاجتماعي بعد فترة طويلة. لم تستطع الاستمرار في الكتابة تحت اسم مستعار، خوفًا من أحكام المجتمع. كانت فتاة بسيطة، وحيدة، تملك عالمها الخاص. كانت تتوق إلى السعادة، لكن الناس أفسدوا روحها البريئة، فتلاشت ابتسامتها، وفقدت رغبتها في الحياة وسط عالم مظلم يخلو من الرحمة والأمان. تعرضت للخذلان مرات عديدة، فلم تعد تطيق فكرة الاختلاط بالناس مجددًا. أصبحت انطوائية، منقطعة عن من حولها، إذ رأت فيهم شبح الذئاب: بلا أمان، بلا صدق، بلا حب.

تغيرت سلمى بعد أن عزلت نفسها عن الجميع نهائيًا. أحبت الوحدة والهدوء في عالمها الخاص، وقررت أن تكون سعيدة بنفسها. لم تعد قادرة على العودة إلى شخصيتها القديمة، فقد اكتفت بذاتها، تعيش في عالمها دون حاجة لأحد. تمنت أن تتحول حياتها من الظلام إلى ألوان مشرقة، فتجاهلت الجميع، ونهضت بمفردها، تقاوم بالصبر والأمل دون رغبة في التواصل مع الآخرين. أصبحت أكثر تركيزًا على ذاتها، محبة لنفسها، بعد أن عانت كثيرًا من انكسار روحها. هربت إلى العزلة، بعيدًا عن واقع قاسٍ ومؤلم، لتعيش في سلام داخل عالمها الخاص.

ومضت السنون، فاختفت سلمى عن أعين الناس من حولها، وظلت في بيتها البائس، روحها مثقلة بالحزن. قررت أن تكتب مذكراتها، فهي تحب الكتابة لتعبر عن أفكارها ومشاعرها المتضاربة. لم تعد تهتم بآراء الناس، منذ بدأت تسطر يومياتها الخاصة. ازدادت ثقتها بقلمها وكتاباتها، إذ أرادت أن تترك أثرًا جميلاً في نفوس من أحبوها ووقفوا إلى جانبها. تجاوزت الصعوبات، وإن لم تحاول يومًا فهم مشاعرها الغريبة وأفكارها المتباينة. شعرت أحيانًا أنها تحتضر، وأن روحها تتلاشى بعد أن خارت طاقتها، لكنها أجبرت نفسها على الحياة والمقاومة. في النهاية، كان الصبر خيارها الوحيد.

بعد سبع سنوات، جلست سلمى في مقهى كلاسيكي، بعد أن أكملت المسودة النهائية لمجموعة قصصية بعنوان جدار الكافيه، مستوحاة من قصص حياتها الماضية. ارتشفت رشفات من كوب النسكافيه الممزوج بالحليب، ثم نهضت من كرسيها، إذ انتهت من كتابة المسودة النهائية لقصة جدار الكافيه وتوجهت إلى مكتبة قريبة، وقفت أمامها، وتخيلت نفسها كاتبة عظيمة وناجحة في مجالها. لم تجد يومًا من يدعمها أو يشجعها، ولم تكتشف ذاتها حقًا، فقد خسرت كل شيء في لحظة واحدة. واجهت عوائق حالت دون تحقيق أحلامها، لكنها رفضت التخلي عنها. أرادت أن تكتب قصتها لنفسها، لا للجميع، طامحة إلى ترك أثر طيب في نفوس القراء.

لم تسعَ سلمى إلى الشهرة، ولا إلى العيش في عالم ينتشر فيه الفساد والحزن والصعوبات. أصبحت واعية وناضجة بعد أن تغلبت على تحديات القراءة والكتابة. كانت تعشق عالم الكتب، وتعيش في عالمها الخاص. بدأت الكتابة بمجرد أن تحررت من مشاعرها المتضاربة إلى الأبد، إذ لم ينتبه أحد لوحدتها وسط عائلتها. كل ليلة، كانت تقف في الشرفة وتبكي، حالمة بنسيان حياتها القديمة، وبداية حياة جديدة مشرقة دون خوف أو شك في موهبتها. تساءلت أحيانًا: هل هي مؤلفة موهوبة، أم مجرد كاتبة ضعيفة بسبب لغتها غير المكتملة؟ وحافظت سلمى على هدوئها وتركيزها في الكتابة طوال ساعات الليل ورغبت في الالتحاق بورش كتابة لتطوير أسلوبها، فجاهدت بنفسها حتى قررت نشر كتابها الأول.